جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بإيتاي البارود
المجلة العلمية

تجليات السخرية
في أدب عاصم حنفي

إعداد
د:أمين إسماعيل توفيق بدران
أستاذ الأدب والنقد المساعد
بكلية اللغة العربية بالمنوفية

(العدد السابع والثلاثون)
(الإصدار الثالث .. أغسطس)
(١٤٤٦هـ - ٢٠٢٤م)

علمية- محكمة- ربع سنوية
الترقيم الدولي: ISSN 2535-177X

تجليات السخرية في أدب عاصم حنفي

أمين إسماعيل توفيق بدران

أستاذ الأدب والنقد المساعد،كلية اللغة العربية،المنوفية،جامعة الأزهر،مصر.

البريد الجامعي:aminbadran.lan@azhar.edu.eg

الملخص:

يعكس فن الأدب الساخر المعاناة البشرية،وهو لون من الهزء المبطن في قالب لغوي تهكمي،وهو ليس لمجرد الإضحاك؛بل يسلط الضوء علي السلبيات.وعاصم حنفي أحد رواد السخرية في العصر الحديث،واتخذت السخرية لديه أنماطا شتي ؛سخرية من نفسه،ومن مجتمعه،ومن الزمان،ومن المكان.وتحتل القضايا الاجتماعية من سخريته مساحة كبيرة،ومن أبرزها:تقاليد الزواج المرهقة،والأغاني الهابطة،والإعلام المتأزم،والشحاذة والتسول،والعري والتحلل.وقد امتلك الكاتب أدوات التشكيل الفني للسخرية من خلال اللغة الساخرة التي ظهر أثرها في بعض العناوين الجذابة مثل:النازية في فراش الزوجية–عاطلون لكن أثرياء–المطرب المليونير–زكاة الموظفين.وترتبط السخرية بالمفارقة في صور متعددة مثل:مفارقة الألفاظ–مفارقة الأحداث–مفارقة الزمان والمكان.ويلجأ الكاتب إلي التناص مع الشعر وبعض الأمثال الشعبية،كما يتكئ علي التصوير الساخر القائم علي التشبيه حينا والمجاز حينا آخر.وقد استطاع عاصم حنفي من خلال فن السخرية أن يطرق موضوعات عصرية مما جعل المتلقي يتفاعل معه ويتأثر بطرحه .

الكلمات المفتاحية:أدب–سخرية–عاصم–التلاعب–المفارقة–التناص–الصورة .

Manifestations of sarcasm in the literature of Asim Hanafi

Amin Ismail Tawfiq Badran
Assistant Professor of Literature and Criticism, Faculty of Arabic Language, Menoufia, Al-Azhar University, Egypt
University email: aminbadran.lan@azhar.edu.eg

Abstract:
The art of satirical literature reflects human suffering, and it is a form of mockery concealed in a sarcastic linguistic form. It is not merely for the sake of laughter, but rather highlights the negatives. Asim Hanafi is one of the pioneers of satire in the modern era, and his satire took various forms: mockery of himself, of his society, and from time, and from place. The social issues of his satire occupy a large area, the most prominent of which are: burdensome marriage traditions, degrading songs, the crisis media, begging and begging, nudity and decadence. The writer possessed the tools of artistic formation of ridicule through the sarcastic language, the effect of which appeared in some titles. Attractive, such as: the Nazis in the marital bed - unemployed but wealthy people - the millionaire singer - employees' zakat. Sarcasm is linked to irony in multiple forms, such as: the paradox of words - the paradox of events - the paradox of time and place. The writer resorts to intertextuality with poetry and some popular proverbs, and also relies on imagery. The satirist is based on simile at times and metaphor at other times. Through the art of satire, Asim Hanafi was able to address modern topics, which made the recipient interact with him and be affected by his presentation.

Keywords: Literature - Irony - Asim - Manipulation - Irony - Intertextuality – Image.

مقدمة

الحمد لله حتى يبلغ الحمد منتهاه، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه ومن والاه.وبعد،

فإن الأدب الساخر يقوم على فن توظيف المفارقات، واعتماد المتناقضات في رصد المعاناة البشرية، وهو وليد الأزمة التي تسود الواقع، فيتم تحويلها إلى مادة مضحكة مبكية، ويرسخ وجوده كاستراتيجية لمواجهة الواقع المتشظّي بكل إشكالياته وتعقيداته، وليس لمجرد الإضحاك والإلهاء، وهو يأخذ موقفه في علم الأجناس الأدبية التي تعتمد التكثيف والترميز، ولا بد أن يصدر عن ذات مثقفة واعية، قادرة على التأثير والإقناع، ويعرض البحث لهذا الفن من خلال واحد من أبرز الكتاب الساخرين الذي استطاع أن يفرض سخريته على الصحف المصرية والعربية بعنوان: "تجليات السخرية في أدب عاصم حنفي"، وكان الدافع إلى كتابة البحث كشف النقاب وإماطة اللثام عن أبعاد فن السخرية لدى كاتب مصري مغمور، قال عنه الكاتب الساخر محمود السعدني: "إذا كانت كل الطرق تؤدي إلى روما، فكل الظروف التي أحاطت بالكاتب عاصم حنفي كانت تؤدي إلى السخرية، السخرية من نفسه ومن الناس ومن الزمان".

وينتظم البحث في مباحث ثلاثة، قبلها تمهيد، مسبوق بمقدمة، وبعدها خاتمة مذيّلة بأهم المصادر والمراجع.

ويلقي التمهيد إطلالة كاشفة على حياة عاصم حنفي، سيرته ومسيرته.

أما المبحث الأول: "أدب السخرية رؤى وآفاق"، فيتوقف عند مفهوم السخرية وعلاقتها بالفكاهة والهجاء، معرّجًا على وظائفها وأهدافها ومقوماتها.

ويأتي المبحث الثاني: "أنماط السخرية عند عاصم حنفي" مصدرًا بتوطئة عن فن السخرية في الأدب العربي قديمًا وحديثًا، يعقبها رصد لنمطي السخرية لدى الكاتب الشخصية والاجتماعية.

ثم يجيء المبحث الثالث: "التشكيل الفني للسخرية في إبداع عاصم حنفي" مشتملًا على مطالب ثلاثة:

الأول: اللغة التي تظهر سخرية الكاتب فيها من خلال محورين: أ- اللهجة المحلية.ب- التلاعب بالألفاظ.

الثاني: المفارقة: وتتخذ أشكالًا ثلاثة: أ- مفارقة الألفاظ. ب- مفارقة المواقف والأحداث. ج- مفارقة الزمان والمكان.

الثالث: التناص: وهو تناص أدبي مع فني الشعر والمثل.**الرابع:** الصورة: وتظهر قسماتها من خلال التشبيه والمجاز.

وفي الخاتمة بعض نتائج وتوصيات، **وفي ذيل البحث** ثبت بأهم مصادر ومراجع البحث.

وأما عن المنهج المتبع في المعالجة، فهو وصفي تحليلي فني، يصف الظاهرة محل السخرية، كاشفًا عن جزئياتها وتفصيلاتها، ويحلل بواعثها وإشكالياتها وعواقبها، ويتناول صورها الفنية التي تجلي مكامن الإبداع وعناصر التميز ومواطن التفرد، بما يكشف عن قدرة الكاتب الفنية الساخرة التي تبين موقعه على خارطة الطريق في مجال أدب السخرية.وحسب هذا البحث أن يكون لبنة في صرح الأدب الساخر، والله من وراء القصد وهو الهادي إلى سواء السبيل، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

التمهيد

عاصم حنفي سيرة ومسيرة[١]

شهد عام ١٩٥٩م ميلاد الكاتب الساخر عاصم حنفي في حي المواردي، من أغرب أحياء القاهرة؛ إذ يجمع بين مختلف طبقات المجتمع، ويلاصق من الناحية الغربية أرقي وأفخم أحياء العاصمة وهو حي جاردن سيتي ،كان والده صاحب دكان للخياطة، ومع أنه ليس في أسرة عاصم فلاح واحد إلا أنه أمسك بالفأس واستعمل المحراث؛ إذ اضطرته الظروف أن يدرس الزراعة ليس عن رغبة، وإنما كان مجموعه في الثانوية العامة هو الذي قاده إلي الالتحاق بكلية الزراعة،ولما تخرج فيها وجد نفسه يحمل شهادة جامعية وعاطلًا عن العمل، فلا هو يصلح للخياطة في دكان والده، ولا يصلح أيضًا للزراعة التي درسها في الكتب، عمل موظفًا بعض الوقت في مصنع بإحدى مدن الدلتا، وعرض عليه العمل في الخليج حيث الهدوء ولكنه رفض.

بدأ الكاتب مسيرته المهنية في الإعلام؛ حيث حصل على الدراسات العليا من كلية الإعلام، واختير مع أربعة آخرين من أوائل الكلية للتدريب في جريدة الأهرام وفق رغبة علي حمدي الجمال رئيس التحرير آنذاك،وعمل في جريدة أيام حكم السادات، ثم ذهب إلى لندن وعمل محررًا في جريدة "٢٣ يوليو"، ومحررًا في جريدة روزاليوسف على مدار خمس وعشرين سنة، كانت المجلة تذيل خلال تلك المدة بتوقيع عاصم حنفي،وكان ممن عمل معهم في روزاليوسف: صلاح حافظ، ومحمود التهامي، ويعد الكاتب الساخر محمود السعدني من أبرز الشخصيات التي كان لها أكبر الأثر في توجيه عاصم حنفي والأخذ بيده وتشجيعه على الكتابة الساخرة؛ إذ استمرت صحبتهما قرابة الأربعين عامًا في لندن، يعملان في بلاط صاحبة الجلالة وقد خصص السعدني لعاصم حنفي بابًا

(١) ينظر مقدمة كتاب (بالطول والعرض، رحلة إلى بلاد الخواجات) لعاصم حنفي بقلم محمود السعدني من ص٩:٧. ط/مكتبة الأسرة.١٩٩٩. مهرجان القراءة للجميع، ومقدمة كتاب (حواديت سفر) لعاصم حنفي بقلم محمود السعدني ص٢ ضمن سلسلة– الكتاب الذهبي– عن روزاليوسف (بتصرف).

باسم (كركور) في مجلة ٢٣ يوليو، نحا فيه منحى الكتابة الساخرة بعد أن كان يكتب موضوعات اقتصادية وتحقيقات في الشئون الخارجية في لندن.

جدير بالذكر أن فترة التسعينات شهدت ذهاب عاصم حنفي في العديد من الرحلات إلى أوروبا، كلما عاد من رحلة كتبها على صفحة روزاليوسف، حتى خرجت في كتاب واحد (بالطول والعرض)، وهناك كتاب (حواديت سفر) يسجل فيه كل ما أدهشه في كل مدينة عالمية زارها، كروما، وفينيسيا، والفاتيكان، وبروكسيل، وسويسرا، وأسبانيا، وبريطانيا، وغيرها،واندهاشاته يحكي من خلالها صقة عاشها وتفاعل مع أبطالها وربما يكون هو صانعها، ويبلغ عدد الحواديت إحدى وعشرين فيغلب عليها الانتماء لأدب الرحلات في إطار من السخريةوأما كتاب (حواديت زوجية ساخنة) فيجمع بين دفتيه أنماطًا من الأدب الساخر ومن مؤلفاته كتاب (لعبة الست) وقد استطاع أن يفرض سخريته على الصحف المصرية والعربية، وتزوج من سيدة سويسرية أنجب منها بنتين وقد تعرض لأزمة صحية توفى على إثرها في الثالث عشر من يونيو ٢٠٢٣ م.

المبحث الأول
أدب السخرية رؤى وآفاق

مفهوم السخرية:

تدور السخرية في بعض استعمالاتها عند العرب حول معاني:

الاستهزاء والانتقاص والإضحاك: يقول ابن منظور "سخِر منْه وبه سَخْرا وسَخَرًا وسِخريا وسُخريا وسُخرية اهزئ به، والسُّخرة: الضُّحكة، ورجل سُخَرة يسخر بالناس".(١). ومما ورد في القرآن الكريم حول هذا المعنى قوله –تعالى– على لسان نوح –عليه السلام– ((قال إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم كما تسخرون)) [سورة هود، الأية ٣٨]، وقوله –سبحانه– في سياق النهي عن السخرية بمعناها الأخلاقي: ((يا أيها الذين آمنوا لايسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرًا منهم)) [سورة الحجرات، الأية ١١].

أما في الاصلاح الأدبي فقد تنوعت التعريفات وتعددت المفاهيم التي تتتساند ولا تتعاند؛ وإنما جاء اختلافها باعتبار تباين الرؤى نظرًا لتداخل السخرية مع مصطلحات أخرى يأتي بيانها بعد. وخلاصة ما قيل في تعريفها أنها "نوع من التأليف الأدبي أو الخطاب الثقافي الذي يقوم على أساس الانتقاد للرذائل والحماقات والنقائص الإنسانية الفردية منها والجمعية"(٢)، أو هي "نوع من الأسلوب الهازئ الذي لا يستخدم فيه الأسلوب الجدي، أو المعنى الواقعي بعضه أو كله، بأن يتبع المتكلم طريقة في عرض الحديث بعكس ما يقال"(٣).

وتصاغ السخرية في قالب لغوي وأسلوب تركيبي محكم، وهو "أسلوب خفيف يجلب المتعة، ويسرِّي عن الخاطر فوق ما يستثير من الأذواق ويحركها في طلب موضع النقص، والوقوف على مظلة الطرفة"(٤) وثمة فرق بين السخرية في سياقها

(١) لسان العرب –ابن منظور– (سخر) ط/ دار المعارف– القاهرة ١٩٦٣/٣.

(٢) الفكاهة والضحك رؤية جديدة– د/ شاكر عبد الحميد (عالم المعرفة) عدد ٢٨٩ ص٥٨ الكويت.

(٣) المعجم المفصل في الأدب – د/ محمد التونجي– ٥٢٢/٢– نشر في دار الكتب العلمية –١٩١٤هـ – ١٩٩٩م.

(٤) الصاحب بن عباد الوزير والأديب العالم د/ بدوي طبابة – ص ٢٨٢ – سلسلة أعلام العرب (٢٧) – ط/ المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر.

النقدي الجمالي والسخرية في سياقها الأخلاقي التربوي، كالفرق بين البناء والهدم، فالسحرية الأدبية وسيلة إصلاح وتقويم وتعديل، أما السخرية بقصد التشفي فمسلك شائن يحمل في طياته سوء الطوية.

فأدب السخرية ذو رسالة؛ إذ إنه "العنصر الذي يحتوي على توليفة درامية من النقد والهجاء والتلميح واللماحية والتهكم والدعابة، وذلك بهدف التعريض لشخص ما، أو مبدأ ما، أو فكرة ما، أو أي شئ، وتعريته تلقاء الأضواء على الثغرات والسلبيات وأوجه القصور فيها"[١] بين القصد من الأدب الساخر التسلية وإرجاء الوقت، وإنما يلفت النظر عن المسكوت عنه عن طريق التعريض والتلميح؛ إذ يعتمد على "الاختلاف بين المعنى الحرفي والمعنى المقصود لتأثير بلاغي أو هزلي، ويقوم على التضارب بين المتوقع وما يحدث في الواقع، ويحدث تأثيرًا دراميًا يجعل المتلقي يفهم التضارب بين الموقف والحوار المرافق، ويشى بجهل مفتعل وإبداء الرغبة في التعلم عند السؤال عن معنى مصطلح"[٢].

بين السخرية والفكاهة:

غير خافٍ أن الفرق بين السخرية والفكاهة علاقة طردية تلازمية، فالسخرية تستنطق الضحك الذي ينتظره المتلقي من الكاتب الفينة بعد الفينة، والكاتب الذي يريد أن يكتب لأدبه الذيوع هو الذي ينوع في أسلوبه، ليس هذا الذي يتبع نمطًا واحد يدعو إلى الرتابة والملل، على نحو ما وجه المازني الكاتب إلى الطريق الأمثل لإحداث التأثير في نفوس المتلقين؛ إذ يقول:

"والبلاء والداء العياء أن تكتب مرة مقالة فكاهية، والطامة الكبرى أن تكون المقالة جيدة، وأن تكون الفكاهة فيها بارعة لا أمل لك بعد هذا أبد؛ لأن الناس ينتظرون منك بعد ذلك أن تطرفهم بالفكاهات في كل مقال آخر، فإذا أخطأوا وعندك ما يطلبون من الفكاهة فالويل لك، وأنت عندهم قد أصفيت أو ضعيف لاتحسن أن تكتب، أو غير موفق فيما تحاول، حتى لو كنت تكتب جادًا ولا تحاول

(١) الأدب الساخر –د/ نبيل راغب– ص١٣– ط/ الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ٢٠٠٠م.

(٢) قاموس أطلس المرسوعي (إنجليزي –عربي) ص ٦٧٣ دار أطلس للنشر الجيزة – مصر – الطبعة الثالثة– ٢٠٠٥م. (بتصرف ليها)

أن تمزح أو تتفكه، والناس معذورون، فإن وطأة الحياة ثقيلة، وما دمت قد عودتهم أن تسليهم وتضحكهم، أو أطمعتهم وأنشأت في نفوسهم الأمل في هذا فماذا تريد أن تتوقع؟"(١).

لقد ذكر القرآن الكريم الضحك في معرض امتنان الله على الإنسان من خلال قوله –تعالى– ((وأنه هو أضحك وأبكى)) [سورة النجم، آية ٤٣] وهو أمر فطري وخلق جبلّي يكسر إلف العادة ورتابة النمط الواحد ويطرد السآمة عند الكاتب والملل عند القارئ الذي يقبل على هذا النوع الأدبي، متفيئًا ظلاله، واجدًا في رحابه متنفسًا له من ضغوط الحياة المثقلة بالأعباء المادية والاضطرابات النفسية.

"إن روح الفكاهة من أجلّ المميزات البشرية، والملهاة عندما تثير في النفس الإنسانية روح الانشراح والبهجة مما تحرك وتزامن أهم الأوتار الإنسانية الخالدة، ومن ثم فهي لا تضحك ولا تسخر من شقاء الإنسان وبؤسه، بل تسخر من أخطائه ومباذله ومجونه وسفاهته، وهي تضحك معه عندما يتغنى فؤاده على النوافذ المشرقة من الحياة"(٢).

فلا غرو أن يبحث الأديب عن السخرية الهادفة الباعثة على الضحك الذي عده العقاد علمًا حين عنون له في يومياته (علم الضحك)، وتحت هذا العنوان أردف قائلًا:

"وفي عالم المضحكات المبكيات لا ضير علينا أن يدخل الضحك في عداد العلوم، وأن يستطيع الإنسان مع تقدم هذا العلم أن يوصي على صنف بعينه، فلا يخلط له بصنف دونه، ولا يباع له بثمن أغلى من ثمنه المقدور له في معايير الضحك والمضحكات، ما القفشة؟ وما النكتة؟ وما العثرة؟ وما الربكة؟ وما المفارقة؟ وما اللغو؟ وما المفاجأة؟ وماالمبالغة؟ وما الجناس بالحروف؟ وما الجناس بالمعاني؟ وما اللغز؟ وما المحاكاة بالحركات؟ وما المحاكاة بالأفكار؟ وما هو سوء التفاهم

(١) صندوق الدنيا – ابراهيم عبد القادر المازني – الأعمال الفكرية ص ١٠ "/ الهيئة المصرية العامة للكتاب – مهرجان القاهرة للجميع – مكتبة الأسرة ٢٠٠١م.

(٢) نموذج البخيل في الأدب العربي والأدب الفرنسي – محمد الصادق عفيفي – ص ٩١ – ط/ دار الفكر – الأولى ١٣٩١هـ – ١٩٧١م – سلسلة الدراسات الأدبية المقارنة.

المنفرد أو المتبادل أو المشترك بين الحاضرين، أو المشترك بين الحاضرين والغائبين؟ كل هذه موضوعات للضحك، وكلها مختلفة الأسباب والتعريفات، وكلها ذوات فوارق محددة"(١).

إن القدرة على الإضحاك موهبة لا يؤتاها إلا من صفت نفسه، وأقبل على الحياة، ويستطيع صاحبها النفاذ إلى مناطق حساسة في داخل النفس البشرية، وامتلاك نواصي القلوب، وإيجاد جسر من التواصل بينه وبين المتلقي الذي يتشوف إلى مثل هذا الطرح؛ لأنه يصادف هوى نفسه، ومن ثم يتعلق بمصدر الإضحاك."إن الشخصية المضحكة هي في الغالب شخصية تتعاطف معها تعاطفًا ماديًا في أول الأمر، أي أننا نضع أنفسنا موضعها خلال فترة قصيرة جدًا، فنتبنى حركاتها وأقوالها وأفعالها، وإذا ضحكنا مما فيها من مضحك فإننا ندعوها بالخيال لأن تضحك معنا، فنحن نعاملها أول الأمر معاملة الرفيق لرفيقة، ففي الضاحك إذن شئ ممن الطيبة ومن المرح المحبب ولو ظاهريا، وهذا أمر من الخطأ أن نغفله، وفي الضحك بوجه خاص حركة استرخاء غالبًا ما نلاحظها، وينبغي أن نبحث عن علتها"(٢).

والضحك الناشئ عن السخرية ليس عبثًا، وإنما هو مفعم بالأسى أو ممزوج بالتحسر، أو ضحك كالبكاء على حد تعبير أبى الطيب المتنبي، فله فلسفة مشتركة بين المثير إياه وبين المنفعل به."إن الضحك ينشأ كما ينشأ هذا الزبد، إنه نذير الثورات السطحية في ظاهر الحياة الإجتماعية، يرتسم فيه على الفور شكل هذه الاهتزازات المتحركة أنه هو الآخر رغوة مالحة، وكالرغوة يفور من مرح، ولكن الفيلسوف الذي يتناول شيئا فيه ليذوق طعمه يجد أحيانًا في قليل من مادته غير يسير من المرارة"(٣).

وتقدح السخرية زناد الحس الضاحك في النفس الإنسانسة من خلال أجواء معينة ومهارات فنية تجمع بين الإقناع والإمتاع فالسخرية "نوع من الضحك الكلامي

(١) يوميات – عباس محمود العقاد – ص٢٢٤– ط/ دار المعارف – الثالثة.

(٢) الضحك – هدى برجسون – ترجمة رسامي الدروبي ص ١٢٧ ط/ الهيئة المصرية العامة للكتاب – مهرجان القراءة للجميع – مكتبة الأسرة ١٩٩٨م.

(٣) السابق ص ١٣٠.

والتصويري الذي يعتمد على العبارة البسيطة، أو على الصورة الكلامية مع التركيز على النقاط الكثيرة فيها، وتحاول السخرية أن تتخلص من الانفعال في الظاهر، وتبدو كأنها لا تنبعث عن عاطفة ما عند قائلها؛ لأنها تخاطب العقل، وتسعى إلى أن يكون الجو حولها مشبعًا بالإدراك والوعي، حتى تستطيع أن تثير الضحك السريع؛ لتسلط جموعًا أكثر سرعة على الأشياء التي لا تناسب الحياة، وهي عندما تسلط هذا الضوء السريع تخدم فكرة عميقة، ولكنها تريد لها أن تكون عبارة حتى يمضي كل شئ في خفة ونشاط"(١).

ويذهب بعض النقاد إلى جعل الأدب الساخر رد فعل على ما يجده الأديب في مواقف معينة مما يدعوه إلى المرح والابتهاج فيقول:"السخر: إذا ذهبنا نعتبره من فنون الأدب هو: العبارة عما يثيره المضحك أو غير اللائق من الشعور بالتسلي أو التقزز، على أن تكون الفكاهة عنصرًا بارزا، والكلام مفرغًا في قالب أدبي"(٢)، وليس الضحك وحده هو ما تثيره السخرية فقد تثير الحزن والتشاؤم والشفقة، فالأدب الساخر ليس لإضحاك الناس وإلهائهم، ولكنه محاولة لتوظيف الضحك من أجل نقد الواقع بتسليط الضوء عليه ليسهل تشخيصه والبحث عن أنجح الحلول التي تسهم في الرقي بالفرد والمجتمع.

"والسخرية أرقى أنواع الفكاهة؛ لما تحتاج من ذكاء وخفاء ومكر، وهي لذلك آداة دقيقة في أيدي الفلاسفة والكتاب الذين يستهزئون بالعقائد والخرافات، ويستخدمها الساسة للنكاية بخصومهم، وهي حينئذ تكون تهكمًا أو تقربًا خالصًا، وقد تستخدم في رقة استخدامًا لاذعًا؛ إذ يلمس صاحبها شخصًا لمسًا رقيقًا"(٣).فالفكاهة الساخرة وسيلة من وسائل الإصلاح من خلال نقد هادف يسلكه المبدع الذي ينجح في الاهتداء إلى استمالة المتلقي "فالسخرية باعتبارها نوعًا من الفكاهة من شأنها أن

(١) السخرية في أدب المازني – د/ حامد عبده الهوال – ص ١٦ – ط/ الهيئة المصرية العامة للكتاب – ١٩٨٢م – دراسات أدبية.

(٢) حصاد الهشيم – ابراهيم عبد القادر المازني – ص ٣٠٩ – ط/مكتبة الأسرة – مهرجان القراءة للجميع – ٢٠٠٣م – (الأعمال الفكرية).

(٣) الفكاهة في مصر – د/ شوقي ضيف – ص١٠ – ط/ دار المعارف، الثالثة – سلسلة ثقافية شهيرة (٥١١).

تجتذب انتباه الآخرين وتعاطفهم، وهي بالطبع لا تجتذب من وقعت عليه السخرية، وإنما تجتذب الذين يشاركون الساخر في شعوره وموقفه نحو من وقعت عليه السخرية، لأنها تهيئ لشركاء الساخر سلاحًا يهمهم جميعًا أن يوجهوه نحو الطرف الآخر"[١].

وحين يرتقي الأديب الفكه بسخريته من أن تكون مجرد إشاعة جو من المرح والابتهاج في نفوس المتلقين إلى إيقافهم على بواطن الأمور، واشتراكهم في التعرف على السلبيات؛ إذ "يحسب الناس أن الفكاهة هي الخفة، ويخلط آخرون بينها وبين الضحالة، مع أن الفكاهة الراقية لا يرفدها إلى ثقافة راقية متنوعة عميقة، لتكون الفكاهة فنًا رائعًا وممتعًا ريقًا شائعًا أو ربيعًا دائم الخضرة، وبدون هذا تغدوا الفكاهة تسلية، أو أقصاها تسرية إن لم تهبط إلى منحدر التهريج أو العبث"[٢].

بين السخرية والهجاء:

إذا كان الهجاء يتضمن معنى الذم والقدح والازدراء، فإن السخرية لا تبتعد عن هذه المفاهيم، فبينها تعالق تعانق، وربما تكون بينها علاقة عموم وخصوص؛فالسخرية أعم والهجاء أخص، لكن الذي لا خلاف عليه أن القاسم المشترك بينهما هو تعقب السلبيات."والسخرية في الهجاء تقوم بدورين:

١-جذب المتلقي وشد السامع نحو الهجاء، وإجباره على رواية ما يقرأ أو حفظ ما يسمع، وإن كان سبًا في أهله أو قذفًا في قبيلته.

٢- دحر المهجو بإضحاك الناس عليه، وسخريتهم منه، وسيرورة ما قيل فيه. والسخرية فن قائم بذاته في الهجاء، وهو يحتاج إلى مواهب متعددة، ومقدرة فائقة في اختيار الموضوع وصياغته وطريقة تقديمه، وأسلوب المعالجة، ومعرفة بأذواق المتلقين وأقدار المهجويين"[٣].

---

(١) أسلوب السخرية في القرآن الكريم – د/ عبد الحليم حفني – ص٦، ط/ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٧م.

(٢) كتبت يوما في الأدب – النقد – الفكر – الفن – نعمات أحمد فؤاد – ص ١٧٥ – ط/ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٨م.

(٣) الهجاء الجاهلي صوره وأساليبه الفنية – عباس بيومي عجلان – ص ٢٨٢ – ط/ دار المعارف – ١٩٨٢م.

ولئن بدا تداخل السخرية مع الهجاء؛ إذ إن السخرية قائمة على الهجاء، والهجاء ناتج عن السخرية، فإن أحدًا من النقاد تلمس فرقًا بينهما قائلا: "إن الهجاء هجوم مباشر وسب صريح قد يبلغ حدود الفحش والإقذاع، لكن السخرية طريقة غير مباشرة في الهجوم، وتعبير يلطف فيه صاحبه ويلين، ومن وراء هذا اللطف وذلك اللين لذع خفي وإيلام وإيجاع لا يدل عليه ظاهر الكلام، وإنما يختفي بين طياته ويستتر في زواياه، ولكن سعير ناره يشع من الأسلوب فيكوي ويحرق"(١).

ونظرًا لتداخل السخرية مع مصطلحات أخرى كالغمز واللمز والغمز والتهكم، فإن ثمة محاولات للكشف عن بعض الفوارق التي بين المصطلحات، بما يميز كل مصطلح عن غيره، على نحو ما قيل في الفرق بين السخرية واللمز والهمز:

"إن الفرق بين السخرية واللمز جوهري، فاللمز تهكم بموضوع بعيد عنا؛ أي أننا نقف منه وجهًا لوجه دون أن تربطنا به علاقة عاطفية، أما السخرية فهي نقد لاذع يحمل علاقة عاطفية بين الساخر وموضوع سخريته، والساخر يكون واعيًا بسخريته لدرجة أننا نحس بكل ظلال التجربة منذ إحساسه بعدم الرضا حتى مرحلة التعبير عن هذا الإحساس، حقًا إن الهمز قد يكون قادحًا، ولكنه لا يشير إلا إلى ما يحمله الشئ من عيب، وأما السخرية فهي لاذعة؛ لأنها تكشف عن الإحساس العميق بعدم الانتفاع من ناحية، وهي تتعرض لنقد الموضوع بطريقة ساخرة من ناحية أخرى"(٢).

وربما كان بعض ألوان السخرية أخف وطأة، وأقل حدة، حين يكون النقد منصبًا على الأحداث والوقائع أكثر من توجهه للأشخاص، على نحو ما ألمح إلى ذلك د/ شوقي ضيف بقوله:"فاللذع والتهكم لونان من ألوان السخرية، وعلى عكس ما نجد في التهكم من رقة يكون الهجاء؛ إذ يعبث صاحبه بمن يهجوه عبثًا ليس فيه خفة ولا رقة، بل فيه الفظاظة والخشونة، فصاحبه لا يهمه شعور الضحية المسكينة التي يعتدي عليها، إنما يهمه أن يخنقها خنقًا وأن يبلغ من ذلك الغاية"(٣).

(١) السخرية في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري د/ نعمان محمد أمين – ص ١٠ – ط/ دار التوثيقية – القاهرة – الأولى ١٩٧٨م.

(٢) أشكال التعبير في الأدب الشعبي د/ نبيلة ابراهيم ص ٢٢٤ – ط/ دار غريب – الثالثة.

(٣) الفكاهة في مصر – د/ شوقي ضيف ص ١١.

على أية حال فإن السخرية تكون من قبيل الأدب الهادف إذا كانت بانية ومقومة ليس وكد صاحبها الهدم والانتقام، على أن التباين بين السخرية و الهجاء في الدوافع والأهداف جعل بينهما فرقًا نبه عليه أحد الدارسين إذ يقول: "إن السخرية تمتزج بالهجاء من ناحية الوظيفة، وآنئذ يبدوان مترادفين حتى إذا نظرنا إلى البواعث والدوافع والأغراض والأهداف وجدناهما مختلفين تمامًا، ففرق بين الهدم والبناء، والترويح والتجريح، والإصلاح والتقويم والإكمال، والسب والإقذاع والإساءة إلى الغير بصفة عامة"(١).

بواعث السخرية وأسبابها:

ثمت بواعث تدعو إلى السخرية، وينبغي أن تكون موضوعية وليست شخصية نتيجة مرض نفسي أو بقصد التشفي، ومن أبرز أسباب السخرية "سبب نفسي؛ إذ تكون السخرية وسيلة من وسائل التخفيف عن النفس، والتخلص من موقف صعب، والبعد عن الآلام والأحزان، والتغلب على الأحداث وسبب نفعي من أجل مال أو منصب أو استرضاء الطرف على حساب طرف آخر"(٢).

وقد تكون السخرية طبيعة في الشخص دون تكلف، وقد يكون الدافع إليها لفت الانتباه، والإعلان عن قدرتها على خوض غمار هذا الفن. ومن أبرز الدوافع الشخصية الباعثة على السخرية :

"١- حقد الساخر على المجتمع لما يشعر به من نقص خلقي أو حرمان.

٢- عداوة بينه وبين الشخص الذي ينقده لغرض الانتقام.

٣- تعالي شخص ناقص لا يحس ما فيه من نقص، فيضطر الأديب الساخر إلى أن يرده إلى صوابه ومنطقه.

٤- وقد تتولد من تعالي الشخص الساخر بنفسه وشعوره بالغرور.

٥- وقد تكون نابعة من حساسية الناقد نفسه، فيكون ذا عين بصيرة نفاذة يحس

(١) قراءة نقدية في نظرية المفارقة – د/ جميل عبد الغني محمد علي – ص – ط/ أولى ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م.

(٢) السخرية في الشعر العباسي في القرنين الثاني والثالث الهجريين – عبد الخالق عبد الله عودة عيسى – إشراف د/ حسين عطوان – ص٢٤ – كلية الدراسات العليا – الجامعة الأردنية ٢٠٠٣م بتصرف يسير.

نقائض المجتمع، ثم يكون ذا روح مرحة، يضحك بقصد الإصلاح، أو معالجة تلك الحساسية.

٦- قد ترجع السخرية إلى استعداد الفنان المزاجي الذي يكون ذهنه مهيئًا للتعريض والسخرية من الناس مع انتفاء دافع شخصي معين"[١].

وقد يبعث على السخرية أن يتخذها الساخر وسيلة للمطالبة بالحصول على حق مشروع، وسيفًا مصلتًا في وجوه الظالمين فيرضي نفسه، ويشفي صدره، حين يدلو بدلوه في نقد السلبيات "على أن السخر على العموم مبعثه مقابلة للواقع باعتبار ما فيه من النقص بصورة الكمال، باعتبار أسمى الحالات التي يكون عليها الواقع وكثيرًا ما تكون صورة هذا الكمال غامضة ملتاثة، بل لعلها لا تعدو هذا الغموض أبدًا، ولا تخلص من ظلامه قط إلى نور الوضوح والبيان، وعلى أنه يكفي الإحساس العام بها، ولما كان المرء قلما يتهيأ له أو لا يتهيأ له قط أن يتمثل صورة الكمال واضحة مشرقة، فأكثر ما يسعه هو أن يلفتنا إليها، ويوقظ في نفوسنا مثل إحساسه العام بها، وهذا هو ما ينبغي أن يجعله وكده أي أن ينبه فينا هذا الإحساس الذي لا يستطيع أن يصوره لنا على وجه الدقة"[٢].

ومهما تعددت بواعث السخرية وتنوعت بين ذاتية وموضوعية فإن "من الأسباب البارزة التي توصل الباحثون إلى أنها دوافع أساسية للفكاهة وخاصة السخرية النقد والإصلاح الاجتماعي"[٣]، وإذا كان الباعث على السخرية الإضحاك ونفض الملل عن النفس والترويح عنها ودفع السآمة تجديدًا للنشاط فهو أمر مشروع ما دام الساخر بعيدًا عن الادعاء والبهتان وكلما كانت السخرية موضوعية آلمت، ووجدت قبولًا من أطياف المجتمع التي تجد في السخرية متنفسًا لنفوسها المكلومة، وتعبيرًا عن مكنونات تجيش بها صدورهم ولا يملكون الإفصاح عنها.

وظائف السخرية:

تعد السخرية من الهزء المبطن والازدراء الخفي غير المعلن، ويمكن

(١) السخرية في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري ص٦.

(٢) حصاد الهشيم ص ٣١٠.

(٣) أسلوب السخرية في القرآن الكريم – د/ عبد الحليم حفني ص ١٧.

أن تكون من قبيل الهزل الذي يراد به الجد "فالسخرية ليست بالضرورة مثيرة للضحك، لأنها يمكن أن تكون مرة خاصة عندما تهاجم الجانب المتجهم من المجتمع، وربما أثارت ابتسامة المتلقي، ولكنها ابتسامة مريرة ساخرة من الأوضاع المقلوبة للمجتمع"(١)، ومن ثم فإن لها وظائف؛ منها ما يتعلق بالساخر الذي يقوم بدوره في نقد السلبيات بأسلوب أدبي، ومنها ما يتعلق بالمسخور منه في لفت انتباهه إلى مكمن السخرية ومحل المؤاخدة، عساه أن يتبصر عيبًا لا تراه عينه، ومنها ما يتعلق بالمتلقي الذي يصبح على قدر من المسئولية مع الساخر في كشف السلبيات، والبحث عن أنجح العلاجات لاستئصال داءات المجتمعات.

"ولا شك أن فن السخرية يربي في الناس ملكة النقد، ويوقظ فيهم الوعي بأخطائهم وحماقاتهم؛ فهو يدفعهم إلى الضحك من كل ما يحسون فيه مخالفة للطبيعة الإنسانية السوية، فيضحكون من المغفل والجاهل والجبان والفوضوي والشارد، وهذا الضحك تصحيح لانحرافات مختلفة، أو قصاص عادل منها لشذوذها على المجتمع السوي"(٢).

ووقف أحد الباحثين على وظائف السخرية وقسمها قسمين:

"**وظائف مباشرة، وتشمل:**

١-**التعبيرية:**وهي التي تركز على الساخر بهدف التعبير المباشر عن الانفعالات والشعور الكامن عند الساخر تجاه المسخور منه بغية إيصاله إلى المسخور منه والمتلقين.

٢-**التأثيرية:**توجيه الخطاب إلى المسخور منه بأساليب لغوية مختلفة.

٣-**الاجتماعية:**انعكاس الواقع الاجتماعي.

(١) الأدب الساخر – د/ نبيل راغب – ص ٢٣.

(٢) السابق– ص ٢٣.

(٤) السخرية في الشعر الأموي – رسالة دكتواة بكلية الأدب – جامعة الملك سعود – إعداد رسالم بن محمد بن سالم يا مؤمن. ١٤٣٦هـ – من ص ٣٨٨ : ٤١٩ – إشراف د/ عبد الله بن سليمان بن عبد الله الجربوع.

وظائف غير مباشرة وتشمل:

١–**الحوارية:** كما بين الزوج وزوجته، وبين الحاكم والمحوم، الصديق وصديقه.

٢– **السردية:** وهي الحبكة القصصية.

٣–**الحجاجية:** التي تقدم الحجج والبراهين على صحة الادعاء ولوازم السخرية.

٤– **الفنية:** وهي حفز مخيلة القارئ والمتلقي كي يشاركه عملية الإبداع الفني في إنتاج المعنى الساخر"[١].

أهداف السخرية ومقوماتها:

تطورت السخرية تطورًا ملحوظًا، "فبعد أن كانت مرتبطة ببعض المواقف الشخصية أو الهجاء بهدف الانتقاص من المهجو بذكر مثالبه، أصبحت مرتبطة بالقضايا العامة ونقد الواقع المرير ورفضه والمطالبة بتغييره، هذا على مستوى المضمون، وعلى مستوى الشكل فقد اتخذت من فنون النثر المختلفة ميدانًا واسعًا، بعد أن كانت دائرة في فلك الشعر متمثلة في الهجاء في النقائص، وهذا التطور مرتبط إلى حد كبير بالغاية المرجوة والهدف المنشود منها؛ إذ"تستهدف السخرية في جوهرها نقد الحياة، أو تغيير بعض الظواهر منها، وهذا التغيير أو التطوير يبدأ أولا بتشخيص الحال، ومعالجة الخلل فيها، والسخرية بدورها لا تكتفي بالنظر إلى الأشياء من السطح، ولا تقتصر في تشخيصها على الخلل في ظواهر الأمور، وإنما قد تشك في الإنسان ذاته وفي النظام الذي يسير العالم؛ فتصبح مفهومًا عميقًا ونظرة شاملة"[٢].

والفن تظهر قيمته في محتواه، وهو مرهون بما يقدمه من رسالة ويتحقق النفع به من خلال الوقوف على أهدافه، "والهدف الأولي للأدب الساخر هو هدف تصحيحي سواء على المستوى الأخلاقي أو المستوى الجمالى، ويختلف في لهجته وتوجهه ومنهجه عن كل أسباب التعبير، أو الرفض، أو الهجوم، أو التقليل من شأن

(١) السخرية في الشعر الأموي – رسالة دكتواة بكلية الأدب – جامعة الملك سعود – إعداد رسالم بن محمد بن سالم يا مؤمن. ١٤٣٦هـ – من ص ٣٨٨ : ٤١٩ – إشراف د/ عبد الله بن سليمان بن عبد الله الجربوع.

(٢) السخرية في الشعر العباسي في القرنين الثاني والثالث الهجريين ص ٢.

الموضوع المطروح لسهام الكاتب، أو المتحدث بأسلوب مباشر وأحيانًا فج"[١].

وعلى مستوى الأفراد والجماعات الإنسانسة فإن "للسخرية دورها في تجديد النشاط النفسي والترويح الجماعي فتنشر التفاؤل، وتثري الإيمان بالمستقبل، وتقوي طاقات الإنسان بالثقة، ولعلها تقف وراء عناصر الصبر والاحتمال وطول النفس"[٢].

ولكي تحقق السخرية أهدافها لابد أن تعتمد على مقومات نجاحها وعوامل تفوقها، وقد أحصى أحد الباحثين تلك العناصر بما لا مزيد عليه وفيه:

١- أن يكون الساخر ذا طبيعة تعشق السخرية وتولع بالنقد، وتجري السخرية في عروقه.
٢- أن يكون بارعًا في التصوير ومتقنًا للأداء.
٣- أن يكون منطلق النفس خفيف الروح بعيدًا عن التعقيد والتزمت.
٤- أن يكون رقيق الإحساس قوي الشعور بالواجب.
٥- أن يجيد المقارنات والموازنات وعقد الصلات والروابط بين أشياء قد تبدو بعيدة، فيكون لعنصر المفاجأة أثره.
٦- أن يطلع كل من الساخر والسامع على أحوال المسخور منه ويعرف صفته وأخلاقه.
٧- أن تجري من الطبع وتقترب من الواقع فلا تكون فجة ولا متكلفة ولا مبالغًا فيها.
٨- أن يكون الساخر خبيرا بالمجتمع عالمًا ببواطن الناس.
٩- أن تحتاج السخرية في فهمها إلى تأمل دقيق وتلطف وإعمال فكرة.
١٠- أن يعلو صوت العقل ويخبو صوت العاطفة فلا رحمة ولا شفقة.
١١- ملاءمتها للبيئة التي تقال فيها، والمجتمع الذي تلقى إليه، فللعامة سخرياتهم، وللخاصة سخرياتهم، وللأدباء سخريات لا يستسيغها غيرهم، وللعلماء سخريات تعتمد على المصطلحات والإشارات وألوان من المعلومات.

(١) الأدب الساخر – د/ نبيل راغب – ص ١٠.
(٢) السخرية في أدب المازني – د/ حامد عبده الهوال ص ٣٦.

١٢- ألا تثير السخرية نفور الحاضرين وسخطهم، فلا يتندر متندر بالقضاة تندرا هازئًا أمام قاض وليس القضاء مهنته.

١٣- أن تكون أمام جماعة؛إذ السخرية لون من ألوان النقد اللاذع ينبه إلى خطأ ويجسمه قصدًا إلى تعديل السلوك.

١٤- أن ينظر الساخر مكان السخرية ووقتها ومقدارها والجمهور المستمع لها وأسلوبها المعبر عنها.

١٥- أن تكون السخرية جديدة مبتكرة، فليس هناك أدعى للملل من الحديث المعاد، وأولى بالنادرة والطرفة والفكاهة والسخرية أن تكون بنت وقتها ووليدة ساعتها لم ينطق بها فم، ولا رنت قبل في سمع، ولا أنس لها قلب.

١٦- أن تروي بما فيها من لكنة، وتحكى ملحونة محرفة كما قيلت إذا كان مبعثها اللكنة ومنبعها التحريف، وسر الإيضاح واللذع فيها اللحن.

١٧- أن يقولها ويرويها من شهر بالسخر، وعرف بالإضحاك، أو ينسبها إلى غيره ممن لمع اسمهم في السخرية، وشاعت عنهم"[١].

صور السخرية وأساليبها:

من السخرية ما يكون إيجابيًا حين يكون تعامل الساخر مع المسخور منه موضوعيًا، ومنها ما يكون سلبيًا حين يقصد الساخر إلى النيل من الآخرين واستباحة عرضهم. وحين تكون السخرية من الأوصاف الجسمية والصفات الخلقية فإنها تدخل صاحبها في مجال المؤاخذة الدينية والأخلاقية، لكنها تكون مقبولة إذا كانت من وضع سياسي أو خلل اجتماعي أو سوء خلقي.

وتتخذ السخرية صورًا متعددة "أقدمها وأكثرها انتشارًا السخرية بالمحاكاه في الكلام والمشي والحركات الجسمية وأنواع السلوك المختلفة، والسبب في أن التقليد يكون مدعاة إلى السخرية هو أن الساخر المقلد ينقل شخصية المقلد برمتها ويجعلها رداء له يلبسه ويتماجن به كيفما يشاء فكأنما هو يمسخه، أما المناداة بالألقاب فهي من أقدم الصور الهائلة الساذجة في السخرية، ومن أقدمها: السخرية بالصوت

(١) فن السخرية في أدب الجاحظ (رسالة دكتوراة) للباحث الشهيد نشأت محمود العناني – كلية اللغة العربية – جامعة الأزهر – من ص ٤٣ : ٥٢ – وقضية الأمين غازي للفكر القرآني ١٩٧٤م.

وتلوينه ورفعه وخفضه وإعطاؤه نبرات خاصة معروفة يفهمها السامع غالبًا ويعرف صفاتها التي لا يمكن أن ينقلها القلم إلى الطرس، وكذلك السخرية بانفراج أسارير الوجه وتحريك عضلاته، النوع الرابع: معالجة الشيء الحقير كأنه عظيم، (الذم بما يشبه المدح) ويتصل به (تجاهل العارف) (التهكم)، الخامس: معالجة الشيء العظيم كأنه حقير، وهناك التعريض، والتصوير الكاريكاتوري في وضع الشخص في صورة مضحكة"[١].

ويتخذ الساخر أساليب متنوعة يصوغ من خلالها سخريته،والأدباء الساخرون يختلفون في أساليبهم الساخرة، وربما غلب على بعضهم لون أكثر من غيره، ولعل أبرز أساليب السخرية: "

١-الرد بالمثل: وهوقائم على التبادل، ويتطلب حيوية الذكاء وسرعة الخاطر.

٢-اللعب باللفظ: ويعتمد على الاشتراك المعنوي في اللفظ الواحد أو الجناس أو الطباق.

٣-اللعب بالمعاني: ومن أنواعه الكتابة والتورية والتعريض.٤-القلب: أن يقلب جوابًا أو سؤال السائل، أو يأتي بعكس ما ينتظر.٥-المبالغة: وتعتمد على الإفراط في الوصف وتجسيم الصورة"[٢].

وقد يتخذ الكاتب الحوار شكلا من أشكال السخرية بحسب مايتطلبه من نقل أحاديث عابرة ، ولعله يأتي موظفًا توظيفا قصصيا ساخرا بطريقة عجيبة يشرك فيها المتلقي في توقعات الرد بين المتحاورين، وكما تكون السخرية من الرد المتوقع فإنها تكون بل تغلب في غير المتوقع، وقد يعتمد الكاتب على التشبيهات غير المألوفة وكأنه يريد جعل القارئ متيقظًا ومترقبًا مفاجآت من تلك الصورة التي تستدعي الضحك والغرابة، فلا يغفل انعكاس الكاتب على عنصر المفارقة القائمة على التناقض الذي يثير الدهشة والضحك من خلال المواقف والأحداث. كما يستدعي شيئًا من الخطب والأمثال الشعبية التي لا تدل على السخرية بنفسها إلا إذا أحسن توظيفها"[٣].

(١) السخرية في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري – د/ نعمات محمد أمين – ص ٣٦.

(٢) السخرية في أدب المازني – د/ عبده الهوال – ص ٤٠.

(٣) ينظر مقال (تجليات السخرية في أدب الرحلات) – حسن الربيع – الأحياء – المجلة العربية – عدد (٥١٣) (يوليو ٢٠١٩م – شوال ١٤٤٠) – ص٥٥. بتصرف

المبحث الثاني
أنماط السخرية عند عاصم حنفي

توطئة:

السخرية في الأدب العربي:

لعل من نافلة القول بأن السخرية عرفت في الأدب العربي القديم بدءًا من الهجاء والتعريض ومرورًا بالنقائض والمقامات وانتهاء بالفكاهة والنوادر والطرائف واستحداث الصور الكاريكاتورية.

وقد مر هذا الفن بعدة مراحل أبان عنها أحد الباحثين قائلًا: "في أدبنا العربي ظل من السخرية يمضي في اتجاهين، الأدب المؤسسي الرصين ممثلًا في الشعر (ديوان العرب) وذلك ما نجده عند الشعراء المخضرمين كحسان بن ثابت في دفاعه عن الإسلام وذوده عن الرسول الكريم –صلى الله عليه وسلم– في مواجهة الكافرين بالدين الجديد، وكهجاء الخطيئة اللاذع الطافح بالسخرية ما دفع الخليفة عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– إلى حبسه إثر هجائه للزبرقان بن التميمي قائلًا:

دع المكارم لا ترحل لبغيتها ∴ واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

وهو ما استمر يظهر بقوة في الأدب الأموي وبخاصة شعر النقائض الذي كانت السخرية عمودًا من أعمدته، وإن امتزجت في كثير من الأحيان بالهزء الذي ساهم في ترسيخ القيم القبلية، والابتعاد عن القيم الإسلامية التي حرصت على نبذ التنابز، أما الاتجاه الثاني فهو الأدب الشعبي ممثلًا في الحكايات والقصص التي يضج كثير منها بالسخرية والخزء"(١).

ومن ثم عرفت السخرية عند العرب وإن لم يعرف مصطلح الأدب الساخر على الرغم من وجود أنماط من المقالات الأدبية تتسم بسمات هذا الأدب كالتي ظهرت في العصر العباسي على يد الجاحظ من خلال رسائله وكتابه (البخلاء)، إذ "كانت السخرية قبل الجاحظ نتفا، تأتي عفوية تارة، ومقصودة لغرض من الأغراض السياسية تارة أخرى، دون أن تقوم بالتفاصيل النابضة بالحياة تحليلًا

(١) من مقال بعنوان عابر الأجناس – د/ سلطان الزعلول – الأدب المجلة العربية العدد (٥٣٤) مارس ٢٠٢١ – رجب ١٤٤٢ – ص ١٤.

وتصويرًا وتشخيصًا واستبطانًا لدخائل النفوس، وإبرازًا لخصائص المجتمع، لم تقم بالتحليل النفسي الدقيق الذي يتم عن عمق التجربة، أو يعتمد على دقة الملاحظة إلا نادرًا"[١].

وإلي جانب الجاحظ بدت مظاهر الأدب الساخر في مؤلفات الهمداني والتوحيدي وابن مماتي والحريري والأصفهاني التي اضطلعت بنقل النوادر والمقامات والأخبار. وقد نشأ الأدب الساخر في أحضان التراث الشعبي لاسيما الأمثال الشعبية والملاحم، وينشط في فترات القهر السياسي والإحباط المجتمعي وهو وليد الأزمة التي تسود الواقع ويندرج تحت ما يسمى بالكوميديا السوداء.

السخرية في الأدب المصري:

طغت روح السخرية على المصريين حتى في أحلك الأزمات التي تحدق بهم، إذ يجدون من خلالها متنفسًا لما تجيش به صدورهم من ضغوط الحياة، وما يعتمل في نفوسهم من أسى لتردي الأوضاع، ومن أحق الناس بالتعبير عن ذلك إلا الكتاب من أصحاب الأقلام الساخرة ممن غلب عليهم طابع السخرية وامتزج بأدبهم وشاع في كتاباتهم كالمنفلوطي والبشري والطنطاوي وزكي مبارك ويحيى حقي ومحمود السعدني وعاصم حنفي وغيرهم.

وهذا عبد العزيز البشري بلغ بسخريته حد الإبداع حتى قيل عنه: "ولأن البشري صاحب نفس صافية موهوبة في فن السرية العميقة بما يضعه على قائمة الظرفاء، فقج كان كل من يقع تحت طائلة سخريته لا يشعر بالغضب قدر ما يشعر بكثير من الزهو والفخر لأن قلم البشري قد تناوله حتى ولو بالسخرية"[٢].

أما يحيى حقي فقد أوفي على الغاية في هذا الفن حتى إنه ألف كتابًا عنوانه "فكرة فابتسامة" يمتلئ فكاهة وسخرية، يقول عنه محمود تيمور: "والكتاب كله تشيع فيه الفكاهة والدعابة، ويسري فيه تيار من السخرية والغمز دون تبذل أو إسفاف، فالكاتب في سخريته وغمزه لم تفارقه روح الظرف والمؤانسة، وهو في هذا مصري

(١) السخرية في أدب الجاحظ – السيد عبد الحليم محمد حسين ص ٥ – ط/ الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع – الأولى – ١٣٩٧هـ – ١٩٨٨م.

(٢) عناقيد الغور (بورتريهات خيري شلبي) ص ٧٩ – ط/ الهيئة المصرية العامة للكتاب – ٢٠١١ – مهرجان القاهرة للجميع – مكتبة الأسرة.

أصيل ابن نكتة كما يقول المثل السائر، وإنه ليستعين في الوصف الفكه والتصوير الساخر لكل شيء يستطيع أن ينتزعه مما تقع عليه عينه أو يخطر بباله، حتى إنه يتحدث عن النقط وعلامات الاستفهام والتعجب باعتبارها شخوصًا معنوية لتهيئة الجو الذي يحسه يصف رجلًا بأنه يتتبع خفايا الناس ويتكلف معرفة الأسرار"(١).

وأما المازني فله في مجال السخرية القدح المعلي؛ إذ اصطبغ أدبه بالفكاهة الساخرة الهادفة حتى عد أحد رواد الأدب الساخر في العصر الحديث على نحو ما قيل: "كان المازني ساخرًا ولكنها سخرية الملاحظة المنتخبة الذكية حتى لقد ارتفع المازني بالفكاهة إلى مرتبة الأدب الخاصة، المازني في الأدب الحديث كالجاحظ في الأدب القديم، كاتب ساخر بما يشيعه في أدبه من الفكاهة الحلوة والسخرية الناعمة والحزن الدفين، والابتسام الواعي، ومعرفة الطبيعة الإنسانية بمزاياها وعيوبها وعيوبها والعطف عليها سخرية تنطوي على سماحة كسماحة أناتول فرانس، وإن كان تأثره الواضح إنما كان بالكاتب الأمريكي (مارك توين)" (٢).

وأما زكي مبارك فقد بلغ بسخريته إلى حد التعالي وسحق المجتمع حتى أثر عنه قوله "التواضع أبغض خصلة إليّ".

ويأتي الكاتب الساخر محمود السعدني ليكون من أكبر الكتاب الساخرين أثرًا في عاصم حنفي، وهو واحد من رواد الأدب الساخر في الصحافة المصرية، لا تخلو جل كتاباته من السخرية إذ "كانت السخرية لديه تأتي عن طبع لا تصنع فيه، ويكثر في أسلوبه كثرة الاعتماد على المبالغة والمفارقة، واستخدم فنون السخرية غير المباشرة في أغلب كتاباته، واهتم بالعنوان الساخر من باب إقناع القارئ بشمولية موضوعات كتابه، أو صناعة البهجة وجذب المتلقي إلى المضمون الساخر"(٣).

وكانت مجلة روزاليوسف ميدانًا للصحافة الساخرة لمحمود السعدني وأحمد

(١) مناجيات للكتب والكتاب – محمود تيمور – ص ٧٠٣ – ط/ دار الجيل – الأولى – ١٩٦٢م. نشر دار الثقافة.

(٢) كتبت يومًا – نعمات أحمد فؤاد – ص ٣٧٢.

(٣) من مقال بعنوان (محمود السعدني الولد الشقي الذي غير مسار السخرية في الأدب العربي) – محمد هزاع – جريدة الأهرام العدد (٤٨٩٢٧) الجمعة ٥ من ربيع الثاني ١٤٤٢هـ – ٢٠ نوفمبر ٢٠٢٠م السنة (١٤٥).

رجب وكامل الشناوي وكاتبنا محل الدراسة عاصم حنفي الذي أثرى المكتبة الأدبية بالعديد من المقالات الساخرة حتى قيل عنه: "شيخ الساخرين الحكائين الكاتب الصحفي المبدع عاصم حنفي ابن نجيب لمدرسة السعدني، جمع بين امتلاك ناصية القلم الساخر ومادة الحكي وتوليد النكات والقفشات الطارئة على مجريات الأحاديث في لقاءات الصفاء في العمل مع الصحفيين والكتاب، أو في جلساته مع الأصدقاء والجيران على مقهى شارع المواردي على بعد أمتار من بيته العريق"(١).

وقال عنه محمود السعدني: "إذا كانت كل الطرق تؤدي إلى روما فكل الظروف التي أحاطت بالكاتب عاصم حنفي كانت تؤدي به إلى السخرية من نفسه ومن الناس ومن الزمان"(٢).

السخرية الشخصية:

سخر عاصم حنفي من ذاته عن طريق اتهام نفسه بالتخلف والرجعية حينًا، والغباء وضيق الأفق تارة، وعدم مواكبته للتطور الذي يحدث بين عشية وضحاها آونة، ولعل مسلك هجاء النفس والسخرية من الذات يذكر بالحطيئة الذي هجا كل من حوله حتى أمه، ولما لم يجد من يهجوه هجا نفسه "وعلى مر التاريخ قد يكون الخطيئة هو الشاعر الوحيد الذي هجا نفسه ووالدته، يقال أنه رأى صورته على صفحة ماء البئر فاستقبحها فقال:

أرى لي وجهًا قبّح الله خلقه ∴ فقبّح من وجه وقبّح حامله

وعندما مات أوصى أن يعلق على كفنه:

لا أحد ألأم من حطيئة ∴ هجا البنين وهجا المريئة"(٣)

وقد تحمل سخرية الإنسان من ذاته شيئًا من التشاؤم، وعدم الإقبال على الحياة، فإنه أثبتت بعض الدراسات الحديثة أنها ظاهرة صحية، حيث ذكرت دراسة أسبانية أن السخرية من الذات ليست بالضرورة ذات دلالة سلبية كما كان يقال

(١) من كتاب روزاليوسف على موقع سبورت.

(٢) مقدمة كتاب حواديت سفر – ص ٢.

(٣) من مقال بعنوان (طعمية الشعوب) – عفاف محمد مختار – السودان – المجلة العربية – العدد (٥٣٤) مارس ٢٠٢١م – رجب ١٤٤٢هـ – ص ٢٥.

سابقًا، بل تدل على درجة عالية من الرفاهية النفسية والسعادة، وعلى الرغم من رؤية البعض أن التهكم على الذات يجعل الشخص يبدو تافهًا إلا أنه له انعكاسات صحية جيدة؛ إذ يجعل الشخص أكثر تفاؤلًا، ويحسن الصحة العامة، كما يساعد على امتلاك المهارة الاجتماعية وبناء العلاقات الجيدة وتجنب الإصابة بأمراض التوحد وانفصام الشخصية"(١).

ومن قبيل تهكم الكاتب من ذاته وسخريته من نفسه قوله:" وفي شئون الأولاد والمذاكرة تؤمن زوجتي بأنني موضة قديمة كالترام في عصر الأندر جراوند – جاهل بأساليب التربية الحديثة– غشيم في علوم النفس والسيكولوجي، متخلف عن الأفكار العصرية لحقوق الطفل"(٢).

وقد اتخذت سخرية عاصم من نفسه مظاهر متعددة؛ فيسخر من نفسه المهمشة العاجزة عن اتخاذ القرار فضلًا عن تنفيذه في الأسرة التي هو عائلها، فقد قررت زوجه شراء كلب خواجه حتى لا يفكر يومًا في ذبحه، فأعلن عن موقفه الذي يعكس ضعف شخصيته: "قلت لزوجتي بحسم يليق بزوج حمش، إن عليها أن تختار بيني وبين الكلب وأنني أحملها المسئولية التاريخية فيما لو خالفت أوامري الصارمة أنني سوف أرد الصاع صاعين – وانسحبت إلى حجرتي غاضبًا – واشترت زوجتي الكلب – فصار الكلب محور اهتمامها – واحتل مكان الصدارة في عائلتها السعيدة، ومن الواضح أن الكلب قد أحس بمشاعري العاطفية تجاهه لأنه كرهني منذ اللحظة الأولى، بينما تآلف واندمج مع الأولاد ومع زوجتي وتجنبني وتحاشاني، مع أنني رب الأسرة، ومصدر رزقها، وصاحب الفضل عليهم جميعًا"(٣).

ويسخر من شخصيته غير المثقفة بالثقافة العصرية، والمتشيعة بالثقافة القديمة التي لا ترضي الأذواق الحديثة ولا تواكب تطورات العصر من خلال هذا الحوار بينه وبين زوجه والذي ابتدأه بقوله: "لأن الفيلسوفة زوجتي تهوى حل الكلمات المتقاطعة في الجرائد والمجلات، فقد سألتني بالأمس عن عبارة من

(١) ينظر مجلة صحيفة العرب بتاريخ ٢٠١٨/٢/٢٤م.
(٢) حواديت زوجية ساخنة ص٦٥.
(٣) السابق ص٢٣.

كلمتين، ساهمت في توحيد صفوف الأمة العربية، وعندما قلت لها اللغة والدين قالت: غلط، فقلت لها: الآلام والآمال. فطالبتي بالسكوت بعد أن اكتشفت الحل بنفسها وكتبت بهدوء فوازير رمضان. وقالت زوجتى الفيلسوفة: إن معلوماتي قديمة جدًا أكل الدهر عليها وشرب وأخذ تعسيلة ونام"(١).

ولأن المفترض أن تكون له الكلمة الأولى في البيت لأن بيده عقدة النكاح فقد أصبح محل السخرية لأنه تحول من آمر إلى مأمور، ومن متكلم إلى مستمع، فهو يؤثر السلامة إذا احتدم الصراع بينه وبين زوجه، وبينه وبين أولاده وتنازل عن رأيه فيقول: "ولأنني زوج يمشي بالريموت كنترول، ولأن أزرار التحكم والتوجيه في يد ابنتي الصغرى التي لا أعصي لها أمرًا، ولأنني عاقل جدًا، لا أود إثارة المشاكل ودعوة الجيران والأقارب للتدخل لحلها، ولأنني لا أهوى الفضائح، وأقدس الحياة الزوجية، فقد تنازلت ، وبيدي لا بيد عمرو"(٢).

ويسخر من ضعف بدنه وترهل عضلاته وافتقاره إلى اللياقة البدنية في مواقف الدفاع عن النفس التي تلجئه إليها زوجه المصون، ففي مشهد درامي يصر موظف الحكومة على النظام الروتيني بصورة فجة مستفزة تعرض ذلك الموظف لوضع رقبته بين يدي زوج الكاتب "وقالت للواقفين بلهجة التفاخر والزهو أنتم متعرفوش جوزي مين؟ ونظرت إلىّ بإعجاب، وكأنني (كلاي) بطل الملاكمة، أو (الخطيب) لاعب الكرة أو (عمر الشريف) ساحر قلوب العذارى، ... وبدون مناسبة اخترق موظف ضئيل الحجم الصفوف، واقرب من زوجتي وقال لها في بجاحه: إنتي فرحانه بجوزك يا مدام، وفجأة صوّب يده ناحيتي، وناولني "بوكسًا" في عيني"(٣).

كما يسخر من ملامح وجهه التي لا تجذب أحدًا إليها إلا زوجه فيقول: "مع أن ملامحي توحي بأنني مجرم عريق في الإجرام هارب من حبل المشنقة ومطلوب القبض عليه حيًّا أو ميتًا إلا أن السيدة زوجتي ولأسباب مجهولة قد وقعت في غرامي، وتزوجتني رغمًا عن نصائح الأهل والأصدقاء، وربما تصورت أنني أعمل

(١) حواديت زوجية ساخنة ص ٢٩.
(٢) السابق ص ٣٨.
(٣) السابق ص ٢٩.

في تجارة الممنوعات كالمخدرات مثلا، وبالتالي يمكن أن أكون مليونيرًا يقدر على مصروفات الزواج، وتطلعات الهانم من اللحمة والفراخ والحلاوة الطحينية، وربما تزوجتني كنوع من الانتحار المعنوي والاحتجاج الصامت، والرغبة في الخلاص من الدنيا الفانية، وربما لأنها تهوى الأنتيكات والآثار وغرائب الحيوان والإنسان، أغرب ما في الأمر أن زوجتي تصر على الخروج معي في الأماكن العامة رغم أن الآخرين يتعاملون معي على أنني سائق الست أو الحارس الخصوصي"(١).

ويسخر الكاتب من جهله بالمطربين والمغنيين الجدد الذين امتلأت بهم الساحة، وبعد انتماءه للجيل القديم تخلفًا ورجعية وبعدًا عن مسايرة روح العصر، لاسيما وأن مطربي الجيل القديم قل جمهورهم فيقول: "أقر وأعترف أنني جاهل جدًا في أمور المزيكا الحديثة ومسائل الطرب والغناء الشبابي، وأن معوماتي متخلفة عن إيقاعات العصر، ومطربي الموجة الجديدة. وأنني لا أعرف بالضبط الفارق بين حميد الشاعر وعلي حميدة وعبده ناصح وزكي جمعة، وأقر وأعترف أيضًا أنني موضة قديمة أنتمي لجيل أم كلثوم وعبد الوهاب وليلى مراد وفايزة أحمد وفريد الأطرش وصباح وعبد الحليم حافظ ومن بعدهم محمد منير وعلي الحجار ومحمد الحلو وخلاص. ومع هذا أؤكد وبالعربي الفصيح أن جيل أم كلثوم وعبد الحليم حافظ يتراجع ويتقهقر في مواجهة جيل حميدة والشاعري وعمرو دياب"(٢).

وتطلب زوجة الكاتب منه أن يمسك مسدسًا محشوا بالرصاص قد اشترته من إحدى صديقاتها بالتقسيط فيسخر من نفسه من عدم قدرته على الإمساك به متهمًا نفسه بالتخلف فيقول "والمصيبة أن زوجتي لا تجيد استخدام المسدس، وكذلك أنا طبعًا وتريد هي أن تتعلم، وأن أقوم بتعليمها، بوصفي رجل البيت والمسئول الأول عن أمنه وحمايته، وعندما رفعت الكارت الأحمر معلنًا اعتراض وعدم موافقتي، طالبتني زوجتي بألّا أكون حنبليًّا وموضه قديمة، وأن أساير لغة العصر التي هي الرصاص والمسدسات والكلاشنكوف"(٣).

(١) حواديت زوجية ساخنة ص٤٣.
(٢) السابق ص٧٧
(٣) السابق ص١١٥.

ويسخر الكاتب من ذاته التي هي طوع أمر زوجه ورهن إشارتها فيقلع عن التدخين رضاءًا لها وتوفيرًا لنفقة البيت فيقول: "ولأنني زوج مسالم. أقدس الحياة الزوجية– وأسمع كلام زوجتي فقد ابتديت استعدادي للتوقف فورًا عن التدخين، فيما لو وجدت العلاج النافع السليم"(١).

وقلة ضيق ذات اليد جعلت الكاتب يسخر من نفسه حين يجعلها مستحقة للصدقات فيقول: "وأنا شخصيًا لا أمانع في قبول الذكاة، في رمضان وشوال ويوليو وأغسطس، غير أني أخشى أن أصبح ملطشة لمزاج السادة من الأغنياء الجدد"(٢).

وتدني الوضع الاقتصادي وعدم قدرة الكاتب على توفير متطلبات الأسرة جعله في موقف الضعف وتغيب رجولته ويسخر إلى ما آل إليه حاله قائلًا: "عندما بدأ الدكتور عاطف صدقي رئيس الوزراء السابق خطة الإصلاح الاقتصادي طغت السيدة زوجتي وتحكمت ووقفت لي على الواحدة ... أقول شمال .. تقول يمين .. أقول صح .. تقول غلط.. أقول طور .. تقول احلبوه .. في محاولة منها لإثبات أنها رجل البيت، وأن الكلمة كلمتها"(٣).

وقد أدى سوء الأوضاع الاقتصادية من ناحية، وكثرة النفقات من ناحية ثانية إلى تعرض الكاتب إلى حالة يطيش معها عقل الحليم فيقول: "ولا نفسي وزارة المالية التي تحابي الأغنياء على حساب الفقراء الكادحين وهناك طبعًا العوامل الأسرية، ولا أريد الخوض فيها لأسباب مفهومة جعل الله كلامنا خفيفا على قلوب زوجاتنا، وباختصار شديد تعددت الأسباب والجنان واحد، ومن حقنا أن نستمتع بكوننا من أصحاب العقل الخفيف، ومن يعترض عليه بالطبيب النفسي، وسيدفع الفيزيتا بالشئ الفلاني لاقدر الله، اللهم لا حسد"(٤).

وعجز الكاتب عن مواجهة غلاء المعيشة، عرضه لأن يكون مستهدفا، بل ربما تعرض للاغتيال على يد زوجته التي قال عنها: "وقالت: "إنها استعانت بحكمة الفيلسوفة خالتي التي تقول: إن جاءك الإصلاح والطوفان فألق بابنك تحت رجليك،

(١) حواديت زوجية ساخنة ص١٤٢.
(٢) السابق ص١٦١.
(٣) السابق ص١٦٥.
(٤) السابق ص١٦٩.

وهي طبعًا لن تلقي بأولادها لكنها مستعدة لإلقائي شخصيًّا من الدور السادس للاستفادة بالمعاش ومكافأة نهاية الخدمة، من أجل تنفيذ خطتها للإصلاح الإقتصادي"[١].

واتخذ الكاتب من سخريته من هيئته وملامح وجهه تعلّة لجري بنات سويسرا وراءه، ورغبة كثير منهن في الارتباط به كفارس أحلام إذ يقول: "فأنا أسمراني اللون، أكرت الشعر، مشلفط الملامح، وهي مواصفات تغري نصف بنات سويسرا بالجري ورائي، وتغري نصفهن الآخر بالفرجة والتصفيق، فالبنات هناك قد زهقن من أصحاب الوجوه الوسيمة والشعر المسبسب، والموضة الآن هي التغيير والبروستارويكا، والاقتران بأسمر الملامح واللون الشيكولاته، وهي مواهب أمتلك منها الكثير والحمد لله[٢].

السخرية الاجتماعية:

وجد عاصم حنفي من المظاهر الإجتماعية أرضًا خصبة ومادة ثرية لسخريته، إذ إن كثيرًا من هذه المظاهر لا تقوم على أساس من القيم والمبادئ والمثل العليا وإنما على التقليد الأعمى.

من أبرز المظاهر التي صوب إليها الكاتب سهام سخريته:

١- تقاليد الزواج:

ألف الكاتب مؤلفه (حواديت زوجية ساخنة) ليتناول من خلاله كثيرًا من المشكلات الزوجة بأسلوب ساخر ظهر جليًّا في إهداء الكتاب (إلى الشيخ زكريا المأذون الشرعي: أشوف فيك يوم) "إهداء واجب"[٣]، وقبله تحت عنوان (إهداء مخصوص) "إلى زوجتي الغلاوية التي تتحكم في مصروف البيت، وتستطيع منعي من الدخول والخروج .. فيما لو تعكر مزاجها .. إليها خالص الاحترام"[٤].

كما عرض من خلال مؤلفه (بالطول والعرض) لتقاليد الزواج المتبعة وتكاليفه الباهظة ساخرًا من أولئك الذين يرهقون جيوبهم ولا يعملون عقولهم من خلال

(١) حواديت زوجية ساخنة ص١٦٦.
(٢) بالطول والعرض رحلة إلى بلاد الخواجات ص٦٩.
(٣) حواديت زوجية ساخنة ص٧.
(٤) السابق ص٦.

المقارنة بين الرجل الشرقي والرجل الغربي إذ يقول: " إن البنت في أسبانيا مسئوله عن نفسها، وحضرة الوالد مسئول فقط عن تعليمها، وليس مسئولًا أبدًا عن اختيار العريس، ومسائل الشبكة والمهر والجهاز، ولا يوجد عندهم رجل محترم ومهموم جدًا بمسألة جهاز البنت، لأن الأوروبي قد علم ابنته ورباها حتى سن العشرين من حقه أن يستمتع بحياته التي ليست وقفًا على الأولاد، ومن حقه أن يلعب جولف، وأن يسافر حول العالم، وأن يتفسح وأن يفرفش وأن ينبسط، ولا يوجد عندهم الأب المشغول بجهاز البنت وشراء الشقة للولد، والذي هو مهموم بطريقة العرض المستمر بأن العين قصيرة واليد ليست كذلك، ولهذا يمد يده ليسرق أو يختلس أو يعمل (أوفر تايم) أو يموت بالسكتة القلبية"(١).

ويسخر الكاتب من تلك النظرة الشرقية للزواج من قبل من يتقدم إليها والتي تختلف تمامًا عن نظرة الغرب القائمة على التعاون بين الزوجين فيقول: "وربما تصورت حبيبة القلب أنني مليونير من إياهم، قادر على مواجهة مصروفات الزواج، وشراء الشبكة والمهر والنجف والسجاجيد وأجهزة المطبخ الكهربائية، وهدية لزوم أم العروسة وهديتين من أجل خاطر عيون خالة العروسة، إلا أن صديقتي الجميلة طمأنتني بأنهم لا يعرفون مسألة المهر والشبكة لأن الزوج والزوجة يتقاسمان جميع مصروفات الزواج، بعيدًا عن الأهل والأقارب، وأكدت لي أنها تريد أن تعرف إمكاناتي الذاتية وتفاصيل تحويشة العمر، لتحسب بالضبط مقدار ما نملكه معًا، بعد أن تضع زيتها في دقيقي، وفلوسها على فلوسي، لنبدأ أول خطوة في رحلة المستقبل بشراء شقة مناسبة تصلح لفخ الزوجية المرتقب"(٢).

فإذا تم الزواج فإن على الزوج الشرقي أن يظهر شخصيته من أول يوم زواج كي يكون مرهوب الجانب وإلا وقع ضحية الزوجة التي لا ترقب في روحها إلًا ولا ذمة. ويندم الكاتب على أيام خلت كان فيها رهن إشارة زوجه وطوع أمرها إذ يقول: "واكتشفت أنني قد تورطت فعلًا في هذه الزيجة، وأنني المسئول عن كل ماحدث ولأنني تركت لها الحبل على الغارب، ولم أوقفها منذ البداية، وأنني لم أعترض أبدًا،

(١) بالطول والعرض ص٤٦.

(٢) السابق ص١٣٠ ، ١٣١.

وكنت أوافقها على طول الخط، ولم يحدث أبدًا أن رفعت في وجهها الكارت الأحمر، كان من الواجب منذ البداية أن أظهر لها الوجه الحمش، وأن أذبح لها القطة كما يليق بالرجل الشرقي المحترم؛ إذا ابتسمت في وجهي عبست في وجهها، إذا تكلمت معي قاطعتها وسفهت كلامها، وإذا تذمرتأو تبرمت فالباب يفوت جمل"(١).

وتختلف شخصية الزوج في داخل البيت عن شخصيته خارج البيت اختلافًا كبيرًا ف "خارج البيت يمارس الرجل وظيفته التاريخية كمندوب سام للجنس الخشن فيشخط وينطر ويرفث ويتخانق ويتحدى ويصارح ويقتحم النيران، ويقول للتخين (طظ فى حضرتك) حتى يصل إلى باب بيته فيخلع بسرعة رداء الرجولة، ويتحول إلى الجنس الناعم الطيب المتسامح الذي إذا صفعته (المدام) على خده الأيمن، أدار لها قفاه على أساس أن الحل السلمي أفضل وأسهل من الحلول العنيفة طبقًا للحكمة الخالدة (علقة تفوت ولا حد يموت) "الرجل الغلباوي صاحب الصوت العالي يتحول إلى فرخة (تكاكي) داخل بيته، وليس على لسانه سوى كلمات (حاضر– طيب– نعم– موافق– أمرك– معلهش والنبي)، لا فارق بين الزوج الشرقي الهش جدًا أو الزوج الغربي الناعم حبتين؛ فالرقة أو الشدة ما هي إلا قشور يغطي بها الزوج الغلبان ملامح خيبته وضعفه أمام حبيبة القلب المسيطرة والمتسلطة"(٢).

وليس لدى الكاتب أدنى أمل في تغيير الأوضاع بأن يعود الرجل إلى وظيفته الرجولية وقوامته الأهلية، بل إن القادم أسوأ حين يتم تبادل الأدوار بين الزوجين إذ يقول: "وفي القرن القادم .. القرن الثاني والعشرين – على اعتبار أننا نخطو بقوة إلى القرن الواحد والعشرين .. أتوقع أن تحتل المرأة معظم المواقع القيادية في المجتمعات الإنسانية تاركة للرجل أعمال التريكو والمسح والكنس، ونظم الشعر وكتابة قصائد المدح والغزل العفيف في محاسن ومفاتن حبيبة القلب"(٣).

وثمة ظاهرة قتل الأزواج على أيدي أزواجهن مع تعدد وسائل القتل، ومحاولة إخفاء

(١) حواديت زوجية ساخنة ص٣٣.

(٢) السابق ص١١.

(٣) السابق ص١٢.

آثار الجريمة يقول الكاتب ساخرا من زوجته: "وقالت وهي تلوح بالمسدس كالخواجة (كلينت ايستود) إن الرصاص فيه وحشية لا تليق بالجنس اللطيف، وكما تقتل دودة ورق القطن بالتوكسافين، وتقتل الذباب بالفليت، فإن الأزواج يقتلون بالساطور والسكين وأكياس البلاستيك، وإذا أردنا العودة إلى الجذور والتقاليد الراسخة نفعل كما فعلت جدتي شجرة الدر، وعندنا الشباشب والقباقيب، وإذا كنت لا تصدق– اقرأ كتب التاريخ"(١).

وتختلف المرأة العربية عن الأوروبية في دوافع القتل وطرقه، "فالمرأة عندنا وبالرغم من كل شئ لا تقتل بالفلوس، وهي تقتل لمجرد الهواية، ومن باب العشم، أو لمجرد التجديد، وكسر الرتابة والملل، تقتل بأسلوب الهواة، ملة السرير فوق دماغه، شاكوش في نافوخه، سكينة المطبخ في جنبه، وكلها جرائم يسهل اكتشافها بعد دقائق من حدوثها، أما الأوروبية فهي محترفة .. وبأسلوب الجريمة الكاملة .. تقتل القتيل وتمشي في جنازته وتستمتع بفلوسه ومعاشه ومكافأة نهاية خدمته"(٢).

أما وسائل القتل التقليدية التي تتبعها المرأة العربية فلا تجنح إليها الأوروبية "كالقتل بالسكين أو بالشومة أو بدس السم في الشاي، أو بملة السرير فوق رأس الزوج النائم، إنما الأوروبية تقتل وفي يدها قفاز حرير أبيض وتخرج من الجريمة كما دخلتها وبراءة الأطفال في عينيها"(٣).

ويقف الكاتب على دراسة ترى أن الرجل أكثر استعدادا للانتحار من المرأة إذ يقول: "وأوصت الدراسة بضرورة تأسيس شرطة مخصوصة في كل بلاد العالم ووظيفتها مواجهة الزواج غير الناجح حتى لا يتسبب في الإكتئاب النفسي والانتحار بعد ذلك. الدراسة خطيرة ومخيفة، وتهدد جنسنا البشري بالفناء بفعل تقلص عدد الرجال الذين يغادرون الدنيا قسرًا ورغمًا عن إرادتهم الحرة، يعني من نجا من ساطور زوجته أو من ملة السرير فوق رأسه أو كوب الشاي بالتوكسافين سوف يواجه الانتحار حتمًا في آخر العمر يا ولدي"(٤).

(١) حواديت زوجية ساخنة ص١١٧.
(٢) السابق ص١٢٢.
(٣) السابق ص١٢٥ ، ١٢٦.
(٤) السابق ص١٢٩.

وتحت عنوان "جمعية ضرب الأزواج " يذكر الكاتب خبر افتتاح أحدث ملجأ للأزواج الواقعين تحت سيطرة أزواجهن أذ يقول : "والملجأ الجديد ليس لأطفال الشوارع أو الزنوج المضطهدين أو المشردين المفلسين، أو للشيوخ والعجزة، وإنما هو للأزواج المحترمين الذين يوقعهم حظهم الأسود الغطيس في أيدي الزوجات المفتريات، في فخ الزوجية السعيد، وشرط الالتحاق بالملجأ والإقامة المجانية فيه أن يكون الزوج قد أصيب أو تعرض للإصابة بعاهة مستديمة على يد الزوجة الفاضلة، فيتولى الملجأ علاجه جسديًا ونفسيًا حتى يصبح الزوج المعطوب قادرًا على تحمل علقة جديدة، فيطلقون سراحه ليعود إلى زوجته لتتولى تأديبه وتهذيبه من جديد، على اعتبار أن قفص الزوجية كالسجن إصلاح وتهذيب وتأديب"(١).

٢-الشحاذة والتسول:

تشكل الشحاذة والتسول ظاهرة تهدد أمن واستقرار المجتمع لأن محترفيها يعتمدون على تحصيل الما لمن غير كد وتعب وربما يكونون قادرين على العمل فيأخذون أموالًا عن طريق استجداء واستعطاف الآخرين، فعطى من لا يستحق، ويحرم من يستحق، وقد استرعت تلك الظاهرة نظر الكاتب فعرض لها ساخرًا فتحت عنوان "عشانا عليك يا رب" يقول الكاتب: "ومالها الشحاذة والتسول؟! على الأقل فإن مكسبها مضمون ودخلها صاف وخال من الضرائب، ثم إنها لا تحتاج لرأس مال أو تصريح بالعمل، أو دعاية وإعلان .. فقط تحتاج لبعض اللباقة والمظهر الحسن الذي يوحي بالثقة والتعاطف الإنساني"(٢).

ويرى الكاتب اختلاف طرق الشحاذة والتسول بين دول العالم بحسب اختلاف الأوضاع الاقتصادية غني وقراء إذ يقول: "وفي عالمنا الثالث السعيد .. طقوس الشحاذة .. والتسول تختلف عنها في العالم الأول والمتقدم والغني .. في العالم الثالث لكي تقنع الإخوة المحسنين وفاعلي الخير لابد وأن تفقأ عينًا أو تكسر ذراعًا أو تتوكأ على عكازين، وأن ترتدي الهلاهيل والملابس الممزقة، ولابد أن يلهث

(١) حواديت زوجية ساخنة ص١٣٦ ، ١٣٧.

(٢) السابق ص١٠٢.

لسانك بالدعاء للمحسن وعائلته وأبنائه وآبائه حتى الجد العاشر"[١].

وخاض الكاتب التجربة بنفسه بأمر من زوجه، حيث أنه لا يجيد امتهان بعض الحرف كالسباكة والنقاشة، ومن ثم فإن عليه أن يتسول وأن يطور في أساليب الشحاذة نزولًا على رغبة زوجه فيقول: "واختارت لي زوجي موقعًا استراتيجيًا يتوسط أحد المتاحف الشهيرة .. وبعض الفنادق الخمسة نجوم .. وطالبتني بالتصرف بلباقة وشياكة حتى أضمن الإقناع والتأثير في المشاهدين وجمهور السائحين، فصدتني عن الأساليب البالية للتسول، وطالبتني أن أتصرف كمتسول محترف يعيش على أعتاب القرن الواحد والعشرين"[٢].

وعلى الرغم من أنه ارتدى أجمل الثياب، وتضمخ بأطيب العطور ولبس النظارة الشمسية، كي يحصل على أكبر نسبة من المال إلا أنه غلب عليه أسلوب الشحاذة التقليدي الذي أثار غضب زوجته يقول: "وأخذت وضع الاستعداد .. وقد حانت ساعة الصفر .. عندما اقتربت مني مجموعة من السائحين والسائحات فوجدتني أتصرف بتلقائية .. وأن أعرج بقدمي .. وأضع يدي على عيني مثل كفيف عريق .. وأصرح بحق: حسنة قليلة تمنع بلاوي كثيرة .. عشانا عليك يا رب .. وخرجت زوجتي من مكانها تصرخ بعصبية .. استوب هل نسيت أننا على أعتاب القرن الحادي والعشرين؟!"[٣].

ولا يخفى أن أساليب الشحاذة والتسول تطورت تطورًا ملحوظًا فربما كان المتسول من ذوي الوجاهة ويلبس الملابس الأنيقة كي يقنع المحسن بأنه ليس متسولًا ولكن تعرض لظروف ألجأته إلى ذلك كأن وقعت نقوده أو سرقت منه أي أنه يحتاج هذا المال على سبيل القرض،طالبًا من المحسن أن يرحم عزيز قوم ذل.

والتسول ليس ماركة مصرية بل هو منتشر في بعض دول أوروبا، ولكن بطريقة تختلف عما هو متبع في الدول النامية، ومن خلال رؤية الكاتب لأحد الشحاذين

(١) حواديت زوجية ساخنة ص١٠٢.
(٢) السابق ص١٠٥.
(٣) السابق ص١٠٥.

أثناء تجوله في حواري القيصرية في مصر والشحاذة في أوروبا فيقول: "وللحق فإن الشحات في القيصرية .. هو توأم الشحات في الحسين فهو يستجدي ويستعطف، ويدعو لك نصف ساعة بعد أن تعطيه المطلوب .. وهو عكس شحات أوروبا .. الذي يشحت بالموسيقى دون أن يكلف خاطره بقول لك لله. وفي لندن بالذات الشحات قليط يأتي إليك وهو لابس بدلة بالشئ الفلاني .. ويشحت حسب التسعيرة فيطلب واحد جنيه استرليني، عشان يفطر .. يعني خمسة جنيهات بالعربي الفصيح .. وبالسعر الرسمي"(١).

ومع ارتباط التسول بالبطالة إذ هو لازم عنها فإن بعض الدول تنأى بنفسها عن وجود تلك الطائفة بين طوائف المجتمع، وتستعيض عن ذلك بالفن الذي يحفظ ماء الوجه ولا يؤدي بالعاطل إلى التسول يقول الكاتب: "المهم أن سويسرا التي عرفت مؤخرًا طعم البطالة وعرفت معنى البقاء في البيوت نهارًا والتسكع في الحدائق العامة والمقاهي والمباريات ظهرًا وعصرًا وكل الوقت .. لم تعرف ظاهرة التسول والمتسولين ... الشحاذة في سويسرا أجنبي غالبًا .. وتلميذ في الجامعة غالبًا .. وهو يتسول بالفن والموسيقى يفرش ألوانه وطباشيره وأصباغه على الرصيف، ويشخبط بها على الأرض لوحات فنية متواضعة أو رائعة .. وقبعته بجواره .. وأنت وذوقك تحكم على مستواه الفني والاجتماعي .. وتترجم هذا الحكم على قروش قليلة وانت حر .. تضع في القبعة خمسة سنتيمات – يعني خمسة قروش أو تضع فيها فرنكًا .. أو عشرة فرنكات .. أنت حر.وأن يصعد أخونا المتسول الفنان إلى الترام .. أو الترولي باس المنتشر خلفي شوارع سويسرا .. وفي يده جيتاره أو زمارته .. يعزف لك مقطوعة من تأليفه أو من تأليف الرحوم بيتهوفن .. وأنت أيضًا حر تعطيه أو تدير له ظهرك. وسواء أعطيت أو طنشت سيقول لك بأدب: (ميرسي) يعني شكرًا في كل الأحوال"(٢).

ويعرض الكاتب بهؤلاء الذين يتسولون من غير تجوال ويريدون أن يظهروا للآخرين أنهم ليسوا متسولين وإنما يأكلون من كسب أيديهم حين يقفون

(١) بالطول والعرض ص ١٨ ، ١٩.
(٢) السابق ص ١٢٥ ، ١٢٦.

على أبواب الحمامات العامة يعطون المناديل للخارجين طلبًا لفلوسهم، والكاتب إذ يسخر من تلك الظاهرة فإنه ينفيها عن سويسرا إذ يقول: "لا يوجد في سويسرا "مسيو" وظيفته الجلوس على باب الحمام بورق تواليت يعطيه لحضرتك وهو يقول (شفيتم) ويمد يده لكل خارج من بيت الراحة، ولا يوجد مسيو ضخم يحتل نصف الأسانسير وظيفته أن يرفع يده بالسلام للخارج والداخل حسبة حسب التسعيرة الجبرية. ربع جنيه من كل واحد." (١).

وهناك صورة أخرى للتسول عرض لها الكاتب تتمثل في أولئك الذين يرتادون مواقف السيارات ويقومون بتوجيه قائد السيارة ثم يأخذون أجرا مقابل ذلك ويشير الكاتب إلى انتشار تلك الظاهرة في مصر ولا يرى لها وجودًا في أسبانيا إذ يقول:"والظاهرة العامة في أسبانيا أن هناك موقف سيارات ضخمًا أمام جميع المناطق السياحية، ومن الواضح أن سنة أولى سياحة تقول أنه من الضروري توفير جراجات لخدمة السياحة والسياح عكس الحال في ميدان سيدنا الحسين؛ حيث يتحكم "ثلاثة منادين وصول متقاعد" في حركة السياحة ومرور السيارات، وأراهن أنك تستطيع أن تركن سيارتك بدون المرور على حضرة الصول والأخوة المنادين، أما في أسبانيا والمنادي ممنوع والأكماكن متوافرة، والدخول إليها بفلوس، ولو تمكنت السياحة أو الثقافة والآثار أن تنظم الدخول وركن السيارات في منطقة سيدنا الحسين وباقي الأماكن الأثرية .. فسوف تكسب ذهبًا من عيار ٢٤ قيراط يذهب بالفعل لحضرات البلطجية المنادين"(٢).

وقد وجد الكاتب في لندن صورة مماثلة لمتسولي القاهرة، كانت مثار سخريته إذ يقول: "والخيبة القوية أنهم متسولون ماركة (حسنه قليلة تمنع بلاوي كثيرة) يعني يتسولون بشكل واضح صريح، لأن المتسول في باقي دول أوروبا يتسول بالموسيقى والرسم والرقص، لكن متسولي لندن لا يتجملون، ويفتقدون الحس الفني، والواحدة منهن تضع طفلًا على كتفيها، أو تسحب رجلًا عجوزًا، وتمد يدها لله يا محسنين، (فشر شحاذين السيدة والحسين)، وإذا كان يجوز أن نرى أكوام الشحاتين في السيدة

(١) بالطول والعرض ص ٧٨.
(٢) السابق ص ٦٤ ، ٦٥.

بحكم عوامل الفقر وقلة الحيلة فإنه لا يجوز أن نراهم في مترو لندن عاصمة الإمبراطورية التي لا تغيب عنها الشمس، والغريب أنهم ليسوا محتاجين لكنهم نصابون وممثلون من الدرجة العاشرة"(١).

وثمة ارتباط بيبن التسول والبطالة، فإن قلة فرص العمل مدعاة إلى الفراغ المؤدي إلى التفكير في الحصول على ما يقيم به الإنسان أوده بطرق ملتوية أقلها التسول وقد يصل الأمر إلى السرقة.والبطالة مشكلة عالمية وجد الكاتب آثارها في سويسرا من خلال أحد أصدقائه الذين يرثى لحالهم إذ يقول ساخرًا: "نيابة عن مواطني العالم الثالث .. قررت أن أساهم بشئ لله أو بحسنة قليلة لتحسين أحوال العاطلين في العالم الأول ولأن الأقربين أولى بالمعروف فقد قررت أن أساعد (روبير) صديقي السويسري العاطل عن العمل ضمن ١٠٠٠٠٠ يقفون في طابور البطالة لأول مرة في التاريخ السويسري"(٢).

وفي حوار بين الكاتب وزوجه حول إيجاد حل لمشكلة البطالة والتي قد تكون المرأة العاملة جزءًا من انتشارها يقول الكاتب: "وقالت زوجتي أنها درست قضية البطالة بعناية واكتشفت أن العاطلين بالكوم .. يا حرام!! وأنها قررت كمواطنة صالحة الاستجابة فورا لنداء الحكومة للسيدات العاملات بالبقاء في البيوت والحصول على معاش مبكر، حت توفر فرصًا أفضل للرجال، من أجل الحصول على العمل ولقمة العيش"(٣).

٣-الأغاني الحديثة:

تعرض الفن الغنائي في العصر الحديث لموجة عاتية من النقد الساخر من طائفة من المستمعين لم يجدوا فيه متعة الفن ولم يلمسوا في كلماته معاني سامية كما كانت عند أسلافهم من أصحاب الفن الأصيل، واختلاف الأذواق تبعًا لاختلاف الأجيال أمر طبيعي، ولكن يبقى أن يكون الفن هادفًا ومؤثرًا، وألا يكون لمجرد التسلية والمتعة الآنية، وكاتبنا ينتمي لجيل الغناء القديم من أمثال أم كلثوم وعبد

(١) بالطول والعرض ص ١٥٢.

(٢) السابق ص ١١٩.

(٣) حواديت زوجية ساخنة ص ١٥٢ ، ١٥٣.

الوهاب وليلى مراد، وهو يخشى من اندثار هذا التراث العريق أمام هذا الانتشار للمطربين الجدد فيقول: "وإذا كان الشباب هو نصف الحاضر .. وكل المستقبل.. فإن الموجة الجديدة التي لا نعرفها تمثل المستقبل كله .. وأخشى ما أخشاه أن يتحول عبد الحليم حافظ .. وصباح .. بعد عشرين سنة إلى موضة قديمة منقرضة كالترام أبو سنجة وكمسري وصفارة في عصر الكونكورد والمترو الأسرع من الصوت"(١).

ويتتبع الكاتب بدايات انحدار المستوى الفني للغناء، وسرعة انتشار هذا اللون الهابط، واستحواذه على قطاع عريض من الشباب إذ يقول: "في أعقاب نكسة ١٩٦٧ ظهر مطرب شعبي اسمه (عدوية) يغني أغاني غير مفهومة. رفضتها ورفضته أجهزة الإعلام الرسمية ومنعت الإذاعة أغانيه الهابطة. كشكل من أشكال الحجر الصحي حماية لآذان ووجدان المستمع – الذي تعود على أغاني فريد وحليم وأم كلثوم وصباح وفايزة أحمد– لكن عدوية انتشر بسرعة مذهلة عبر الإذاعات المتنقلة في سيارات التاكسي والميكروباص ليصبح المطرب رقم "واحد" رغم أنف الإعلام الرسمي والمصيبة أن نموذج عدوية قد تكرر وانتشر وأصبح لدينا الآن ٩٥٨ مطربًا من عينة وطراز "عدوية" فمعظمهم يحتلون الإذاعات الرسمية وغير الرسمية. بل إن (عدوية) الأصلي بين هؤلاء المطربين يعد نموذجًا محترمًا بمقاييس هذه الأيام"(٢).

ويلمس الكاتب أثر الأغاني القديمة في تشكيل وجدان الشعوب وأنها ذات مبنى ومعنى، وعاشت في ضمائر الناس زمنًا طويلًا وكانت حديث الناس، إذ "كانت الأغنية الجيدة حدثًا فنيًا حقيقيًا ننتظره بجد .. ونستعيده مرة واثنين وعشرة .. ونتكلم عنه في المقاهي والندوات والبيوت والمصالح الحكومية مازلنا نغني لعبد الوهاب أغنيات عمرها ستون سنة، ونستعيدها بنفس الاستمتاع في كل مرة، ولهذا لمع جيل عبد الوهاب لأنه لم يكن جيلًا متهافتًا فسعت إليهم الشهرة والمجد، وإن لم تسع الفلوس والثروة والصيت ولا الغنى كما يقولون .. ومطرب اليوم .. نسيج

(١) حواديت زوجية ساخنة ص ٧٧.
(٢) السابق ص ٩٢.

مختلف .. ابن وفي أصيل لعصر النفاثة والصاروخ والكونكورد .. ولهذا يغني بسرعة، ودون أن يلتفت خلفه .. لأنه لا يملك الوقت أو النظرة الثاقبة "خلقه ضيق" كما يقولون. يجيد في الغالب فنون السلق "والتيك أواي" ويكره السبك والدسم"(١).

والأغاني القديمة لها وقعها في النفوس، إذ حفرت لنفسها مكانًا في قلوب المستمعين، ولا تزال الألسنة تلوكها لأنها تحمل في طياتها عناصر البقاء والتأثير، على حد قول الكاتب: "عشرات الأسماء لمطربين وملحنين جدد استمعنا من كل منهم لشريط واحد فقط .. يعيد ويكرر نفس الشريط ونفس الألحان .. وهي ألحان مكررة (تزغزغنا) وتدفعنا إلى الراديو لمحطة (أم كلثوم) أو لشريط التسجيل – نستعيد الأغاني القديمة .. بعيدا عن الألحان التي نخجل من الحديث عنها، والجيل الذي نجح في استفزازنا الغريب في الأمر أنه جيل يكسب كثيرًا وكثيرًا جدًا"(٢)."لقد صنع المطربون القدامى لأنفسهم مجدًا وإن لم يكونوا ثروة مادية، لأن فساد الأذواق جعل الإقبال على الأغاني الهابطة تدر أموالًا طائلة لكثرة متابعيها ومروجيها.

ويعقد الكاتب موازنة بين محمد عبد الوهاب وأحد مطربي العصر الحاضر، مؤكدًا أن الأغاني الجديدة أصبحت وسيلة للتربح أكثر منها ارتقاء بالأذواق وتعزيز القيم الإنسانية فيقول: "وبعد أكثر من سبعين سنة من العمل والدراسة في الغناء والتلحين .. والبحث عن أشكال جديدة .. وتطوير أشكال وقوالب قائمة .. ومزج الغربي بالشرقي .. صار محمد عبد الوهاب مليونيرًا أو كان في سبيله إلى ذلك .. أما مطرب اليوم يغني "آه .. إيه .. أووه .. ووراءه خمسة يرددون آه .. إيه .. أووه" وينتهي الشريط .. مطرب اليوم يتقاضى في الحفل الواحد خمسة آلاف جنيه .. وأحيانًا عشرة .. وأحيانًا خمسة وعشرين ،وبحسبة بسيطة نجد أن ما حققه عبد الوهاب من ثروة خلال سبعين سنة يستطيع مطرب اليوم أن يكسبها في ثلاث سنوات واسألوا مصلحة الضرائب"(٣).

(١) حواديت زوجية ساخنة ص ٩٨ ، ٩٩.
(٢) السابق ص ٩٩.
(٣) السابق ص ٩٩ ، ١٠٠.

٣-أزمة الإعلام:

تؤثر وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية تأثيرًا بالغًا في نفوس المتلقين لما تعتمد عليه من تقنيات تعمل على استقطاب فئة كثيرة من الجمهور مختلف الثقافات في شتى المجلات وعلى الرغم من كثرة وسائل التواصل الإجتماعي وتعدها غير أن التليفزيون يحتل مكانة كبيرة من بينها لأنه لا يحتاج إلى مهارات في التعامل معه، فهو يشبع نهم فئات كثيرة لاسيما من لا يجيدون أساليب التقنيات الحديثة، ويرضي أزواق المراحل العمرية المختلفة من خلال الدراما.

ويسخر الكاتب من اجتماع الناس على فوازير رمضان التي صارت جزءًا من طقوس هذا الشهر الكريم، فتحت عنوان "جبهة تحرير الفوازير" يأسى الكاتب لحلول فوازير رمضان المحل الأرفع بين رسائل وحدة الأمة فيقول على لسان زوجته:

"وإذا كانت عوامل اللغة والدين والمصالح والمصير المشترك .. قد وجدت صفوف الأمة العربية في السابق فمن حسن الحظ أن فوازير رمضان تلعب نفس الدور في عصرنا الراهن السعيد بدليل أن شريهان ونيللي أصبحتا زعيمتين لهما نفوز وحضور الزعماء السياسين المحترفين، ويكفي أن تحركات نيللي وشريهان تتصدر جميع نشرات الأخبار العربية من المحيط إلى الخليج .. وأمجاد يا عرب أمجاد"(١).

وإذا كان لرائدتي فن الفوازير نفوز وهمية على المجتمع الاجتماعي والسياسي فالأجر نفسه على مستوى الجانب الإقتصادي، كيف لا "وتصريح واحد من شريهان بأنها سوف تقاطع الفوازير كفيل بخفض قيمة الدولار، في مواجهة الين الياباني في أسواق المال العربية، وعندما أكد حزب "نيللي" أنها لا تمانع في الاشتراك في الفوازير بشرط أن تكون من إنتاج القطاع الخاص قفزت أسعار الأسهم والسندات في جميع البورصات المحلية والعالمية"(٢).

وتعد الحفلات وتقام المهرجانات لرموز التمثيل، الذين تمكنوا من السيطرة على عقول وقلوب الكثيرين من خلال المسلسلات والأفلام ويصبح للشخصية السينمائية أو التليفزيونية العديد من الامتيازات يقول الكاتب:

(١) حواديت زوجية ساخنة ص ٢٩ ، ٣٠.

(٢) السابق ص ٣٠.

"عندما بدأ مهرجان القاهرة السينيمائي، أغلقت علي زوجتي الباب والشباك بالضبة والمفتاح .. خصوصًا أن ضيف المهرجان الرسمي كان وقتها "كلارك" الشرير الوسيم في المسلسل التليفزيوني "الجرئ والجميلات" الذي لحس عقل الناس في مصر وعدد من الدول العربية"(١).

وصدق الكاتب فإن للشخصيات الفنية أثر السحر في نفوس الناس وإن الإقبال عليها يفوق بكثير الإقبال على العلماء والدعاة والمصلحين بل إن التعلق بشخصيات أبطال المسلسلات والأفلام يصل إلى حد الجنون، ويبذل المشاهد في سبيل ذلك من عقله وروحه وماله "فقد استضاف مهرجان القاهرة النجم الهندي (أمتياب باتشان) بطل أفلام العنف والميلو دراما، التي تنافس أعمال المرحوم حسن الإمام .. والذي يعد بجميع المقاييس الفني وغير الفنية نجمًا من الدرجة العاشرة .. إلا أنه لم يكن كذلك في مصر، فاستقبل استقبال الأبطال الفاتحين .. بعد أن أصيب الشارع المصري بحمى (أمتياب باتشان) وهي حمى خطيرة لو تعلمون"(٢). ولا أدل على تأثير تلك الشخصية الهندية على عقول وقلوب كثير من الناس أنها صورت وطبعت على الملابس ورسمت على واجهات المحلات وصارت كلماته تلوكها ألسنة النشئ، ومن ثم أصبح مثلًا يحتذي ونموذجًا يقتدى به (٣).

وعن الواقع المأساوي الذي حل بالأمة جراء انكبابها على المسلسلات وتوجيه طاقات الشباب نحو هؤلاء الأبطال ليتخذوهم مثلًا أعلى وإهدار الأموال الطائلة في الإنفاق على تلك الأعمال الدرامية يستدعي الكاتب تاريخ الأمة المليئ بالأحداث الجديرة بالدراما والتي صدف الناس عنها إعلام غير هادف إذ يقول: "وخلال عشر سنوات من سقوط غرناطة حكمت محاكم التفتيش على عشرة آلاف شخص بالحرق، وعلى سبعة آلاف بالشنق مع التجريس والبهدلة، وعلى مائة ألف بالعقوبات السجن والجلد، وقعت مآس كثيرة تحتاج إلى كتيبة من كتاب الدراما، ومؤلفي المسلسلات، بدلًا من التمثيليات السخيفة عن (الجرئ والجميلات) وعن حمامات السباحة، تظهر

(١) حواديت زوجية ساخنة ص ٦٧ ، ٦٨.
(٢) السابق ص ٦٨.
(٣) السابق ص ٦٩. بتصرف

فيها كارولين عريانه بلبوصة مع ريدج الوسيم الذي يحب بروك ولا يفضل السباحة في حمامات المجاري"(١).

ورسالة الإعلام الحقيقية عرض الوقائع والأحداث بمصداقية، ووقوف رموز الإعلام على الحياد دون تمييز لفئة أو تعصب لرأي، وخلال رحلة سفر الكاتب في بريطانيا تعرف على صديقة أيرلندية أطلعته على ضوابط الإعلام الإيجابي بعيدًا عن المجاملة والمحاباة قائلة: "والهايد بارك الجديد هو التليفزيون، الذي هو فرجة حقيقية، فأنت تفتح التليفزيون فترى كل شيئ .. وعلى عينك يا تاجر .. وتناقش جميع القضايا .. بدون حرج أو خوف .. والتليفزيون عندنا تليفزيون رأي هو يختلف عن بعض التليفزيونات التي تطبل وتزمر، والمذيع عندنا لا يقرأ من الورقة أو جهاز المونيتور أمامه، لكنه مذيع مثقف وداع وحاضر؛ وذلك لأننا نختار الأصلح لوظيفة المذيع، ونستعين باستطلاعات الرأي، والمذيع المرفوض جماهيريًا يستبعد فورًا، ولا نعرف أسلوب المجاملات في الاختيار، وافتح نشرة الأخبار، تجد أن الخبر الأول فيها هو ما يهم الناس فعلًا وليس طبقًا لما يهم الحكومة .. ومع أنه تليفزيون رأي .. إلا أنه لا ينحاز لحزب من الأحزاب، وإذا أخطأ حزب أو مسئول، فضحه التليفزيون في التو واللحظة"(٢).

أما الإعلام المقروء فلا يقل أهمية عن الإعلام المرئي، وهناك صحف متخصصة في كل المجالات بين شهرية وأسبوعية ويومية. ومن خلال كلام صديقة الكاتب (سوزي الأيرلندية) عن الجرنال بيان لرسالة الصحافة وتعريض بتلك الصحف الموجهة التي تخدم توجيهات معينة، وتحقق مصالح شخصية، ومكاسب مادية دون أن تعالج الفساد، أو تعزز القيم والمبادئ الإنسانية وتعجب صديقته (سوزي) بجرنال التابلويد فتقول:

"ميزة جنرال التابلويد .. مثل الميرور .. أو الصين .. أو الديلي ميل أن لغته سهلة ومقالاته مختصرة مفيدة، يخاطب القارئ المستعجل في المترو والأتوبيس .. يشرح بسرعة تفاصيل الأمور .. ويتجاهل عمدًا القضايا الدولية المعقدة ..

(١) بالطول والعرض ص ٤٨.

(٢) السابق ص ١٧١ ، ١٧٢.

ويفضح الفساد والمفسدين .. ويركز على فضائح الكبار .. فالصحافة هي مرآة المجتمع بحق وحقيقي، وجرائد التابلويد مسئولة عن توجيه الرأي العام .. خصوصًا في القضايا الداخلية .. وهي تسهم بوضوح في نجاح الحزب ووصول صيته إلى غرة عشرة ووانج ستريت، المقر الرئيسي لمقر الحكومة كما تلعب دورًا حقيقيًا في سقوط الحزب الآخر، والسبب أن رسالة جرنال التابلويد موجهة إلى رجل الشارع بأسلوب بسيط وتستخدم تعبيرات دارجة"(١).

ويتساءل الكاتب عن مصادر تمويل جرنال الحزب فتجيبه سوزي "عنينا فلوس الأحزاب الإنجليزية وميزانيات الجرائد واضحة على المكشوف، وإذا ثبت أن الحزب أو الجرنال .. قد فتح مسخه فإن المصير هو السجن والفضيحة بجلاجل .. ثم إن الجرنال يكسب من التوزيع والإعلانات .. فلا داعي إذًا لزيادة الخير خيرين ولا تنس أن الديمقراطية ليست مجرد كلام وشعارات فالديمقراطية سلوك وممارسة واحترام للنفس قبل أي شئ واستقلال الجرنال ضروري .. لكي يتحرك بحرية في الساحة .. وإذا كانت على رأس الجرنال بطحة، فإنه لن يستطيع مواجهة الفساد، ولن يستطيع أن يقود معركة صارمة كتلك التي خاضتها جرائد التابلويد ضد مارك تاتشر ابن رئيسة الوزراء الحديدية سابقًا"(٢).

٤–العري والتحلل:

يمثل العرى والتبرج أعلى مظاهر الفساد الاجتماعي والانهيار الأخلاقي إذ يثير الغرائز الكامنة ويوقظ الشهوات النائمة، وهو أمر طبيعي في المجتمعات الغربية التي لا يحكمها دين ولا يضبطها أخلاق، إنما يعدون ذلك لونًا من ألوان الحرية الشخصية المكفولة للأفراد، وقد وجد الكاتب في قصة الحمراء الأسباني شيئًا من هذا القبيل إذ يقول:

"على أن أجمل ما في قصر الحمراء هي تلك المنطقة المخصصة للحريم والتي يطلق عليها الحرمانة، وفيها عرفوا مبكرًا شعار ممنوع الاقتراب ممنوع التصوير ولم يكن مسموحًا لرجل بمجرد تخطي الحدود الحمراء الرجل الوحيد هو

(١) بالطول والعرض ص ١٦٧.

(٢) السابق ص ١٦٨ ، ١٦٩.

حضرة الخليفة. الذي كان مسموحًا له بالجلوس على حدود المنطقة. داخل غرفة علوية خاصته يستطيع منها أن يراقب ما يدور داخل الحرمانة خصوصًا ما يدور داخل حمام النساء وفي الحرمانة توجد البركة وهي حمام سباحة كبير بطول ٣٥ مترًا وعرض ٢٣ مترًا وفيها تستحم الجواري والحريم خصوصًا في حر الصيف السخيف بينما يجلس حضرة الخليفة في غرفته العلوية يراقب المنظر الجميل وفي يده تفاحة كبيرة يستخدمها في التوقيت المناسب، عقب انتهاء الحريم من الحمام يغادرن البيسين فيلقي الخليفة بالتفاحة إلى من يختارها من الجواري، طبقًا لموهبتها في السباحة وأشياء أخرى لتصعد إليه في غرفته، لتتلقى التهنئة من سيادته، وتنال شرف اللقاء السامي"(١).

وهذا الانفصام بين السلوك والأخلاق مرده إلى النزوات الطارئة والرغبات العارمة، ولا يرى الغرب في ذلك تناقضا بل يلتمسون لسلوكياتم مبررات تنأى بأفعالهم عن المؤاخذة "تسهر البنت الأسبانية – ترقص – تشرب – تسافر – تمشي في الطريق عريانة – ولكنني أراهن أنها ستضع أصبعها في عين سيادتك لو أطلت النظر إليها .. وتصورت أنها لامؤاخذة .. فالعري عندهم بسبب الحرارة والموضة والإنطلاق والعادات .. والعري شئ والانحلال شئ آخر"(٢).

والتساهل في التعري والتدرج في التحلل يجعل الستر تخلفًا ورجعيه. والحشمة أثرًا من آثار العصور الحجرية، وليس للغيرة مكان في قلوب الرجال، وتصبح الدياثة أمرًا مألوفًا غير مستنكر، ويصبح المستمسكون بالحجاب هم الشواذ ويعكس الكاتب انقلاب موازين التفكير السوي حيث الجري وراء كل جديد بغض النظر عن مشروعيته أو موافقته للفطر السليمة من خلال حوار دار بيني وبين سوزي الأيرلندية إذ يقول: "قالت لي الأخت المتحمسة تحاورني، إن الهدوم اختراع عتيق يصلح لعصر الجواري والحريم .. والتوبلس اكتشاف متطور يناسب ثورة الكمبيوتر والليزر .. والدنيا في حالة تغير مستمر .. والأفكار الجديدة تتطلب الحماس والصبر .. وعلينا أن ندعو للموضة الطليقة الجديدة التي سوف تغزو العالم بإذن واحد أحد ..

(١) بالطول والعرض ص ٢٧ ، ٢٨.
(٢) السابق ص ٤٥.

قلت لها: إن الفكرة لا تبدو عملية أبدًا .. وهي اكتشاف قديم بالمناسبة .. من اختراع المرحومة جدتي في غابات أوروبا .. تمامًا مثل موضة فردة الحلق التي يلبسها الرجال الآن .. على أنها موضة أوروبية .. في حين أن جذورها تعود إلى إفريقيا أيضًا، والمشكلة أن اختراعاتنا تبدو في نظركم بدائية وتخلفًا .. في حين أن اختراعاتكم تبدو أوريجينال وتجديدًا .. ومع هذا لو طبقنا الفكرة سوف تغلق مصنع النسيج أبوابها .. وسوف يفلس الأخ بير كاران .. وهو ما لا يجوز قالت لي صاحبتي: إنكم تأخذون عن الغرب كل شئ، وعليكم الآن التخلص من بير كاران .. وإيف سان لوران وكافة أشكال الاستعمار الهدومي .. وعليكم أن تصبحوا شعبًا بلبوصًا .. يستمد قرار من طبيعته ووفقًا لظروفه الخاصة"(١).

أما اتخاذ الأخدان فهو السائد في المجتمع الغربي لدى الفتيات في محاولة لتقنين هذا الوضع الإجتماعي بعيدًا عن الزواج والقيد الأسري، ولا غضاضة عندهم في هذا السلوك ولا يتناقض ذلك مع الغيرة والنخوة، وهذا الخدن الذي تتخذه الفتاة صديقًا لها على مرأى ومسمع من أسرتها يسمى (بوي فريند) "ولا تسلم البنت نفسها سوى لحبيب القلب "البوي فريند" وهي تسهر وتمشي على حل شعرها، بصحبة (البوي فريند) إلا أنها تنام في البيت آخر الليل .. وتقول لأبيها صباح الخير يا بابا .. وهو يشرب قهوة الصباح. لا يهم ما الذي تفعله ليلًا. والمهم أنها تبيت في البيت بعد ذلك .. وحكاية أن لها (بوي فريند) فهذا شئ طبيعي ومن حقها .. وهو ما يعادل –ومع الفارق– الخطيب عندنا.. وكما تتعدد الخطبة أحيانًا يتعدد البوي فريند .. لكن من المؤكد أن البنت لا تجمع بين اثنين في وقت واحد .. ولا تسلم نفسها لأي عابر سبيل، وغالبًا ما تتزوج البنت من أول أو ثاني بوي فريند تعرفه في حياتها، القضية أن مفهوم الشرف والعفة عندهم يختلف .. وشرف البنت ليس مثل عود الكبريت .. ولكنه مثل الولاعة (الكارتية) بشرط أن يمسكها شخص واحد والبنت لا تنام مع حبيب القلب بدافع الإباحة ولكنه الحب الذي يشجعه الوالدان ويحرضان عليه. والبنت التي ليس لها (بوي فريند) مشكلة معقدة .. وعلى الوالدان حلها بالاشتراك في النوادي والذهاب إلى حفلات الرقص .. والتعرف على الأصدقاء

(١) بالطول والعرض ص ٦٢.

عسى الله أن يرزقها ببوي فريند طيار ابن حلال .. ولعل هذا هو السبب الذي يدفع المصريين والشرقيين بشكل عام إلى مغادرة أوروبا فور وصول البنت لسن الفهم والبلوغ .. خوفًا من حكاية (البوي فريند) وشرف البنت الذي مثل الولاعة بصرف النظر عن نوع الولاعة"[١].

ولا عاصم للإنسان من الانحراف إلا استمساكه بالدين الذي يوجهه نحو اتباع الفطرة السليمة، وكم من أناس سقطوا في حمأة الرذيلة وبؤرة الشذوذ على الرغم من تصدرهم وتسنمهم أعلى المناصب، ويذكر الكاتب أنه كان جالسًا على مقهى يسمى "ستيلا" في قلب جينيف وجلس بجوار رجل يحدثه عن شذوذ جنسي عن بعض الرؤساء يقول الكاتب: "وفي قهوة سيلا جلست وقورًا .. وقد جاءت جلستي بجوار رجل وقور مثلي .. تجاذبنا أطراف الحديث كما تفعل الناس الوقورة وقد قدرت أنه يسعى مثلي للتعرف على بنت الحلال .. إلا أنه عندما سألني عن ذلك صراحة أنكرت بشدة .. وأكدت له أنني أكره البنات وأكره سيرتهن. فهم الرجل الموقف .. وتجنب سيرة البنات وراح يتحدث في كل شئ الاقتصاد والسياحة والبطالة والمواصلات والشذوذ الجنسي في هذا الموضوع الأخير تحدث الرجل فأفاض، فاستعرض أسماء المشاهير في التاريخ القديم والمعاصر الذين مارسوا الشذوذ فيتكلم عن نابليون وأوسكار وأيلد وغيرهم، وتكلم عن كلينتون المرشح للرئاسة الأمريكية، والذي تبنى مشاكل الشواذ والذين قرروا اعطائه أصواتهم بالإجماع"[٢].

وقد جرت علينا التقنيات الحديثة ووسائل التواصل الاجتماعي ويلات كثيرة من جراء تلك المواقع الإباحية والصداقات الإلكترونية والعلاقات غير المشروعة، وأصبح الشباب أمام هذا السيل الجارف من البرامج والفديوهات صرعى هذا الذحف المدمر، ولولا التحصين الإيماني لزلت أقدام، وحين يأرز المسلم إلى حظيرة الإيمان يقي نفسه العثار.

(١) بالطول والعرض ص ٤٥ ، ٤٦.

(٢) السابق ص ٧٤.

المبحث الثالث
التشكيل الفني للسخرية في إبداع
عاصم حنفي

أولًا: اللغة:

إن الروح الساخرة لدى الكاتب هي التي تحرك لغة الكاتب وتفجر منابع الضحك فيها، ويمزج عاصم حنفي بين لغة الكتابة الأدبية الراقية والأساليب الساخرة، وتقوم صناعة السخرية على تقنيات لغوية من خلال المعجم اللغوي الذي يتشكل من خلاله أسلوب الكاتب، إذ تحتوي لغة الأديب الساخر على مفردات لغوية ذات طبيعة خاصة بما تبعثه في نفس المتلقي من إثارة وانفعال مع الموقف محل السخرية فيستخدم الأديب لغة تناسب الحال والمقام تتسم بالدقة والإيجاز، وهذا يتطلب منه انتقاء الألفاظ الموحية والكلمات الجذابة المؤثرة وقد اعتمد عاصم حنفي في اصطفاء المفردات التي تتكون منها الجمل والعبارات الساخرة على اللغة الفصحى السهلة كثيرة التداول مألوفة التناول ولم تجنح إلى الفصحى الممعنة في الأصالة كي لا تحول بينه وبين المتلقي ولم يقف الكاتب في تعامله مع الألفاظ عند حد كونها مجرد تعبير ووسيلة تواصل وإنما وظفها في سياقاتها المتنوعة، ونفخ فيها من روحه واشتق منها، ومازج بينها وبين نظائرها من اللغات الأخري ويمكن التعرف على وسائل التعامل مع اللغة لإظهار السخرية عند الكاتب من خلال محورين:

١- اللهجة المحلية. ٢- التلاعب اللفظي.

أ-اللهجة المحلية:

يعمد الكاتب إلى اختيار بعض المفردات المحلية ذات الطابع المصري لما لها من إيحاءات قريبة من عامة الناس، كي تحقق الإثارة أكثر مما تحققه مفردات الفصحى التي لا يتفاعل معها إلا فئة معينة. ولا تكاد تخلو صفحة من صفحات كتابة (بالطول والعرض) من لفظة محلية أو تركيب بصري يشكل منهما الكاتب أسلوبه الساخر فمن أمثلة الألفاظ:

"دوشة –علقة- الفلوس- الغجر- النشل- الصرمحة- الفرفشة- البحلقة- يتفسح- فهلوي- الفرجة- بلبوصة- معلهش- فشر- حليوة- قرفان- يشحط- ينطر- رايقة- اللهوجة- الاستعباط- الاستهبال- الطفاسة- جليطة- بهدلة- لكاعة- عياط-

مكسوف- فشخرة- طنش"[١].

ومن أمثلة التراكيب:

"في عز الظهر- ساعة العصاري- بالفم المليان- فركة كعب- تحويشة العمر- حمار شغل- تخشيبة السجن- عيش وحلاوة- لعبت البلية- يشحت كحيتي- انفض المولد- القسمة والنصيب- أولاد تسعة- يا سواد ليله- فراخ الجمعية- خيبتي التقيلة- أبو رجل مسلوخه- كيد العزال- يا ميت خسارة- عليه العوض- تفضحك بجلاجل- حلق شنبه- غرقان لشوشته- يقمع البامية- آخر العنقود- القطة المغمضة- أبصم بالعشرة- فوق البيعة- صحتها عال العال- الشيئ الفلاني- طبطب على كتفي- اللغة الإسكندراني- تمشي على حل شعرها- جدع طيب وابن حلال- مربط الفرس- على حسابي- فردت طولي- سي السيد- بيت الراحة- امسك حرامي- موت وخراب ديار- داخلة على طمع- أبًا عن سابع جد"[٢].

وهناك عبارات تجري مجرى الأمثال ومنها:

"البنات على قفا من يشيل – عاشو في تبات ونبات – الضحك من غير سبب قلة أدب – الغاوي ينقط بطاقيته – أعز الولد ولد الولد – تضرب عصفورين بحجر واحد – لا شكر على واجب – يا شوارع اتهدي ما عليك قدي – قليل البخت يلاقي العضم في الكرشة – الغريب أعمى أو أحول على أقل تقدير – أحسن من السمنة على العسل – الحركة بركة – على عينك يا تاجر – البحر يحب الزيادة – ليس على رأسه ريشة –حتى لا تقع الفأس في الرأس"[٣].

ومنها "الباب يفوت جملًا – أذبح لها القطة – للصبر حدود – العين بصيرة واليد قصيرة – بيدي لا بيد عمرو – أكلة تفوت ولا حد يموت – العين بالعين

(١) بالطول والعرض صفحات: ١٤، ١٦، ٢٦، ٣٣، ٣٦، ٤٧، ٥٤، ٥٨، ٧٩، ٨٦، ١٠٨، ١١٦، ١٤٠، ١٤١، ١٥٢، ١٥٣، ١٧٥، ١٧٧.

(٢) بالطول والعرض صفحات: ١٤، ١، ٤٢، ٥٢، ٥٥، ٥٨، ٦١، ٧٧، ٧٨، ١٤٣، ١٤٧، ١٥٢، ١٥٤، ١٦٢، ١٦٩، ١٧، ١٧٥، ١٧٩، ١٩، ٤٣، ٤٦، ٥١، ٧٠، ٧٢، ٧٨، ٨٦، ١٥٧.

(٣) بالطول والعرض صفحات ٣٣، ٣٤، ٣٦، ٤٣، ٤٦، ٥٣، ٧٠، ٨٦، ١١٦، ١٥٧، ١٦٠، ١٦٧.

والبادي – الصيت ولا الغنى – حسنة قليلة تمنع بلاوي كثيرة – فوت علينا بكره"[١].

ولعل التفات الكاتب للاستعانة باللهجة المحلية إنما هو من قبيل اختيار لغة أكثر وقعًا في نفس السامع لطول معايشته لها ولو أن الكاتب استبدل تلك العبارات المحلية بالفصحى لم يكن لها هذا الأثرلكلون اللهجة المحلية قريبة من قطاع عريض من الناس فضلًا عن أن مخالفة الفصحى وغرابة الكلمة المحلية يحقق السخرية التي تستدعي الخروج عن المألوف.

وإلى جانب اللهجة المحلية هناك مصطلحات أجنبية استعملها الكاتب تعكس أفكارًا ساخرة بما يطلق عليه السخرية المبطنة، مثل: "جراتسيا يامد موازيل – دخول الفلامنكو بالمشاريب – ماما استيفالي – البيسين – البوي فريند"[٢].ولا يخفى أن الهزء المبطن أشد من الظاهر، والتعريض أبلغ من التصريح والسيرة المؤثرة هي التي يتوصل إليها برفق دون أن يشعر المتلقي بتحققها.

وقد يخلع الكاتب الساخر على اللهجة المحلية بعض خصائص الفصحى كالإعراب فتصبح اللغة الساخرة مزيجًا من العامية والفصحى؛ فتكون المزاوجة مدعاة للتندر ومبعثًا للسخرية وقد وجد شيئ من ذلك عند عاصم حنفي مثل:

"أضحك وأفرشفش وأمشي في الأسواق مبسوطًا فرحانًا سأكون غشيمًا لو وضعتها في حسابي مباشرة – وحتى لا أترك الفرصة لتماحيك الأقدار جلست متخشبا داخل التليفريك – وعلى الدكة جلس شاب أحول ومعه بنت مثل لهطة القشطة يتباوسان ويتناغشان – مع إني مسمسم وحليوة – تمتلك شاليهًا في القلب ويختًا في البحيرة – اخترعوا قبقابًا مزدوجًا – انبسطت من الحكاية والصحافة زودتها حبتين"[٣].

وكذلك "قفز صاحبنا أبو دماغ كبيرة – كنت أشتري لها يامشًا بالشيئ الفيلاني – وهذا يعني مشوار للطبيب – يكسب قرشين كويسين – يدخل إلى الحمام ليأخذ دشًا ساخنًا – هيلاي المفترية لا تفوت مناسبة إلا وتكيل له باليمين أو بالمال

(١) حواديت زوجية ساخنة ص ١٩، ٣٣، ٣٤، ٣٦، ٩٨، ١٠٤، ١٣٩.

(٢) بالطول والعرض ص ١٢، ٣٢، ٤٠، ٢٨، ٤٥.

(٣) السابق صفحات ٤٣، ٧٩، ٩٧، ١٣٢، ١٤٠، ١٦٨، ١٧١.

بوكسًا أو قلمًا – كانت أتعاب الدكتور أتعابًا باهظة بالفعل – فتح عينك تأكل سيمون فيميه وكافيار استوردا – لا تكن عبيطًا كعادتك"[١].وقد تكون السخرية في جمع المفردة المحلية مثل: "شنبات – الشباشب – القباقيب"[٢]. أو إدراج اللهجة المحلية في اسلوب الشرط مثل: "من شاف بلاوي غيره هانت عليه بلاويه"[٣]. أو زيادة تاء قبل الكلمة مثل: "من الواضح أن زوجتي أخذت تتدلع وتتدلل"[٤].وقد يغير اللهجة المحلية إلى الفصحي مثل: "في مواجهة الأزمة لا نعرف رأسنا من رجلينا"[٥].

ب–التلاعب اللفظي:

قد يكسب الكاتب الساخر بعض الألفاظ معاني غير معانيها الظاهرة ومن ثم ينشأ التلاعب اللفظي الذي يقوم على إثارة السخرية "هذا التلاعب منبع النكتة التي تجري في الحديث إذ تصبح الكلمة معدة بذاتها ليبرز فيها ذهول اللغة الذي يشبه ذهول أصحاب الغفلة، ففيها شحنتان مختلفتان، والمتحدث اللبق يستغل الشحنتين فيوري بواحدة منها عن الأخرى، وبذلك يظهر ما فيها من قوة هزلية تضحكنا، ومعنى ذلك أن الشعب المصري وضع يده منذ أقدم الأزمنة على هذه المفاتيح اللغوية وما يطوى فيها من تلاعب، ولا نشك أنه استغلها للتفكه والضحك إلا أنها بطبيعتها ترشد إلى هذا الاستغلال، وأيضًا فإنه كان معدًا من حيث مزاجه المرح لاستنفاد كل وسيلة في هذا الجانب"[٦].

هذا التلاعب اللفظي يقصد إليه الكاتب، ويعده مسبقًا لعلمه بأثر ذلك في استخراج الضحك من المتلقي بعد إثارته "وقد يحدث تلاعب لفظي غير مراد؛ لأنه ينشأ عن خلط بين اللفظ الذي نطق به المتكلم، ولفظ إخر قريب منه توهمه السامع، وفي هذه

(١) حواديت زوجية ساخنة صفحات ٤٤، ٨٠، ٨٦، ١٠٩، ١١٠، ١٢٣، ١٣٨، ١٥٩.
(٢) بالطول والعرض ص ٥٤، وحواديت زوجية ساخنة ص ١١٧.
(٣) حواديت زوجية ساخنة ص ١٢٠.
(٤) السابق ص ٥٥.
(٥) السابق ص ٥٥.
(٦) الفكاهة في مصر – د/ شوقي ضيف – ص ٢٠.

الحالة ربما يجيء الرد مشاكلًا لذلك الخلط فيزداد الموقف تعقدًا وإضحاكًا"[١].

وقد استطاع عاصم حنفي من خلال التلاعب اللفظي أن يحقق السخرية عن طريق المفاجأة بمخالفة الوجهة التي ينتظرها المتلقي فتأخذه الدهشة ومن خلال بعض عناوين مقالات الكاتب ظهر شيئ من تلاعب الألفاظ عن طريق التعريض والتلميح والتلويح منها على سبيل المثال:

١- "الغشيم والجميلات وماما ستيفاني"[٢]. يعرض الكاتب بكتاب الدراما الذين ألهو الشعوب بمسلسلات سخيفة، فارغة المحتوى إلا من العبث والغرام والعلاقات العاطفية المتبادلة بين المتغازلين ويسخر من هذا الخواء الفكري لدى هؤلاء الذين يغضون الطرف عن حدث عظيم لسقوط آخر معقل من معاقل الإسلام في الأندلس إذ يقول: "وخلال عشر سنوات من سقوط غرناطة .. حكمت محاكم التفتيش على عشرة آلاف شخص باالحرق، وعلى سبعة آلاف بالشنق مع التجريس والبهدلة. وعلى مائة ألف بعقوبات السجن والجلد، ووقعت مآس كثيرة تحتاج إلى كتيبة من كتاب الدراما. ومؤلفي المسلسلات بدلًا من التمثيليات السخيفة عن (الجرئ والجميلات)" [٣].ولعل استبدال الجرئ بالغشيم ليلفت نظر المتلقي إلى تفاهة المادة الإعلامية.

٢- "النازية في فراش الزوجية"[٤] يعرض الكاتب بتلك الجملات المسعورة ضد العرب والأجانب والملونين من قبل سويسرا التي تقصر العمل على رعاياها، وأن هذا الأمر طال بعض الدول بدافع من العنصرية، ويدحض الكاتب تلك الحجة التي ترى في تلك الجماعات المهاجرة عبئًا على الإقتصاد القومي للبلدة المهاجر إليها فيقول: "في ألمانيا حيث الأحزاب النازية الجديدة يشنون الحملة ضد الأجانب وضد الأتراك بالذات، بحجة أن المهاجرين الأتراك استنزفوا الإقتصاد الألماني، وحولوا إلى بلادهم ٥٠ مليون دولار في السنوات العشر الماضية، وهو مبلغ ضخم يكفي لتشغيل العاطلين الذين ترتفع أرقامهم إلى ٦

(١) قراءة نقدية في نظرية المفارقة ص ٢١٩.
(٢) بالطول والعرض ص ٤٠.
(٣) السابق ص ٤٨.
(٤) السابق ص ٨٢.

ملايين عاطل، وتتناسى الجماعات النازية أن العمالة التركية قد ساهمت في ازدهار الإقتصاد الألماني، وأن تحويلاتهم هي مجرد جزء من أجورهم، اقتطعوه ليساعدوا ذويهم في بلادهم الفقيرة"[١].

٣- "عاطلون ولكن أثرياء"[٢] نفي لفكرة ارتباط البطالة بالفقر، لأن البطالة في سويسرا ليست لأسباب اقتصادية وإنما لأسباب شخصية فهي بطالة موسمية مؤقتة، ولا يرجع الأمر فيها إلى عدم توافر فرص العمل وإنما لطبيعة الشخص المزاجية الذي يتعطل من تلقاء نفسه حتى يجد العمل المناسب له يقول الكاتب: "لا تنسى الحكومة أن السويسري يعشق العمل، وأن تعطله لأسباب خارجة عن إرادته، لهذا فمقامه محفوظ، وإعانة البطالة تقترب من قيمة المرتب بالتحديد ٧٥% من المرتب، وهي إعانة تكفي لدفع جميع الأقساط، أقساط البيت والعفش والسيارة، وشراء لحم محترم من عند الجزار، وبنزين للسيارة والذهاب للسينما والحلاق، وشراء معلبات للكلب وجرس للقطة، وتكفي أيضًا لتمويل رحلة نهاية الأسبوع في شاليه الجبل؛ حيث التزلق على الجليد"[٣].

٤- "شرطة مكافحة الصحافة"[٤] تنديد بالصحافة المتسترة على الفساد، وأن لها في المجتمع الغربي عيونًا راصدة تلاحقها إذا حادت عن الموضوعية على عكس الصحافة العربية التي قد تمالئ بعض ذوي النفوذ وفيها شيئ من المحاباة والمجاملات، ويحكي الكاتب شيئًا عن طبيعة الصحافة الإنجليزية إبان رحلته في لندن إذ يقول: "قرأت قبل النوم "جرنال صغير" في حجم كراسة الرسم لكنه طويل اللسان جدًا كقطار أهوج مندفع .. يدهس من يقف في طريقة .. وقد فتح النار على الجميع.. وعلى الكبار بوجه الخصوص. فلم يسلم من لسانه أحد .. وميزة المجتمع الإنجليزي أن الكبير ليس على رأسه ريشة .. وقد خفت أن يقع الجرنال في يد بوليس اسكتلانديارد ... أو في يد مخبر صاحي ..

(١) بالطول والعرض ص ٨٤.
(٢) السابق ص ١٢٤.
(٣) السابق ص ١٦٥.
(٤) السابق ص ١٦٧.

وربما بيننا وبينهم اتفاقية لتسليم القراء أسوة بتسليم المجرمين، وربما عندهم مباحث مخصوصة لمكافحة القراء، أو قانون جديد للصحافة يعاقب القراء"[١].

٥- "الأخ توم والأخت جيري"[٢].توم وجيري أو القط والفأر برنامج تلفزيوني استهوى واستقطب أفئدة معظم الأطفال ردحًا من الزمن، وقد أسقطه الكاتب على المناورات والمناوشات الزوجية المعتمدة على الترصد والتربص بين الشريكين المتعاندين يقول الكاتب: "في ظل أزمة المساكن تصبح العلاقة الزوجية أشبه بالعلاقة بين الأخ(توم) والأخت (جيري) أو القط والفأر، ويصبح أسلوب المطاردات والمقالب هو الأسلوب السائد بين الزوجين في دنيا الواقع كما هو الحال في عالم (ميكي ماوس)" [٣].

٦- "زوج الحكومة"(٦): أوهمنا الكاتب بكلمة الحكومة المعنى المتعارف عليه عند المصريين عندما يضاف إلى كلمة زوج والمقصود به: الزوجة بيد أنه أراد به حكومة الدولة التي بيدها السلطات حيث دعت زوجه إلى التقرب إلى أحد رموز الفن لأنه على حد قولها مرشح لتولي منصب وكيل وزارة الطرب والغناء؛ يقول الكاتب: يقول الكاتب: "ونصحتني السيدة العاقلة زوجتي بضرورة التقرب منه على أساس أنه فرع من حزب الحكومة. يستطيع لو أدرادت يضاعف مرتبي المتواضع. وأن يساهم في حل أزمة الإسكان. أو توصيل المياه للأدوار العليا. وعندما نهرت زوجتي وقلت لها: وهل من المعقول أن هناك وزارة للطرب والغناء والأحاديث التلفزيونية؟ ردت علي بقولها: وهل هناك تلفزيون في الدنيا يتصرف بهذه الطريقة. يظهر المطرب الواحد في خمسة لقاءات كل يوم. قبل الأكل وبعده. إلا إذا كان قد تزوج من الحكومة شخصيًا؟ منطق ووجهة نظر"[٤].

جدير بالذكر أن موضوعات الزواج حظيت بنصيب الأسد في كتاب

(١) بالطول والعرض ص ١٦٧

(٢) حواديت زوجية ساخنة ص ٦٠

(٣) السابق ص ٦٠.

(٦) السابق ص ٧٧

(٤) السابق ص ٧٩.

(حواديت زوجية ساخنة) حيث وجدت عناوين ساخرة متنوعة بين الخبر والإنشاء، وبين الحقيقة والمجاز مثل: "يا سبعي – كيف تتخلص من زوجتك؟ – شهداء الحب والزواج – مناقشات يا معيشية – كرة قدم حريمي – زوج الست – شرطة مكافحة الجواز – غيظي زوجك تكسبيه – جمعية ضرب الأزواج"(١).

٧- "المطرب المليونير"(٢).

إن ارتباط الثراء الفاحش بالغناء والطرب دليل على اختلال الموازين وازدواجية المعايير، حيث ينعم أهل الفن والطرب بالأموال الطائلة لما يقدمون من لهو وغناء على حين يعيش كثير من العلماء والأدباء عيشة الكفاف لأن العلم لا يقدره كثير من الناس حق قدرة، وحسب العلماء بناء القيم وترسيخ المبادئ يقول الكاتب ساخرًا متحسرًا –على أحوالهم– من خلال تلك الإحصائية: "من المحيط للخليج لا يزيد عدد العلماء على بضع عشرات والأدباء والشعراء عدة مئات، وعدد القضاة ٥ آلاف، والأطباء ١٢٠ ألفا وعدد المطربين الشباب ١٣٩ ألف مطرب محترف، ٦٤٨ ألف مطرب في سبيلهم للإحتراف وعلى الموضة .. ونزولًا على طلب الجماهير من الأهل والأصدقاء .. قررنا النزول من برجنا العاجي .. واقتحام دنيا الغناء والأغاني .. بشريط كاسيت جديد وأراهن أنني سوف أهجر حياة الدين والسلف، وأتحول إلى مليونير حقيقي خلال ٣ سنوات فقط، حتى لا أكرر فشل المطرب محمد عبد الوهاب الذي لم يكسب كثير بالمناسبة ورغم الشهرة والمجد والموهبة"(٣).

٨- "بنات الخال" يتلاعب الكاتب بهذا التركيب عن طريق التورية، فاللفظ القريب بنات الخال من الأرحام، والبعيد اللاتي ينزل شعرهن على جانبي الجبهه فهو المقصود يقول الكاتب في رحلته إلى سويسرا: "سخريتي ابتسامة الموناليزا وثقتها في نفسها وبلادهاوشدتني فكرة لقاء بنات الخال فقلت: أجرب مغازلة المدموزيل"(٤).

(١) حواديت زوجية ساخنة صفحات: ٢٧، ٥٢، ٧٥، ٧٩، ٩٥، ١٢٣، ١٢٨، ١٣٠، ١٣٦.
(٢) السابق ص ٩٧.
(٣) السابق ص ٩٧.
(٤) السابق ص ١٦٠.

وقد سخر الكاتب من أولئك الذين لا يقيمون للعلم وزنًا، وربما لا يجيدون الإملاء والكتابة، وتمتلئ الساحة بهم، ويجدون من يتابعهم ويصفق لهم، ولغل هذه الحال أدت بكاتبنا إلى الكآبة الناشئة عن تقديم الفن وتأخير العلم فجاءت بعض عناوينه (العلم نورن) بالنون التي لا يكتبها إلا الجهَّال الذين لا يعرفون أدنى قواعد اللغة.

٩- "زكاة الموظفين"[١].

هذا عنوان صادم للمتلقي الذي قر في ذهنه أن الزكاة لا تكون إلا للعاطلين، ولا يستحقها العاملون الموظفون ليفاجئهم بأن يعيدوا النظر في أحوال هؤلاء الموظفين الذين لا يحصلون على ما يكفي متطلبات معيشتهم في أقل مستوياتها، ومن ثم فهم مستحقون للزكاة.يقول الكاتب:

"تعظيم سلام للعالم الجليل الدكتور عبد الصبور مرزوق الذي أنصفنا أخيرًا فأفتى بأن موظف الحكومة وحتى درجة وكيل وزارة يستحق زكاة عيد الفطر بشرط أن يكون الموظف شريفًا وكادحًا لا تمتد يده إلى الرشوة والاختلاس ووالله العظيم إننا شرفاء وبامتياز لا نسترزق ولا نفتح مخنا. ولا نهمل في الشغل. وإننا أولاد ناس جدًا. لعب بنا الزمان الكورة الشراب، فمرمغنا في التراب. وإننا في مواجهة المرتب المصاب بالأنيميا. نعمل صباحًا كموظفين، وبعد الظهر سواقين تاكسي وتصليح حنفيات، ونعطي دروسًا خصوصية، وندهن دوكو، ونلزق سيراميك وورق حائط في بيوت البهوات. وأنا شخصيًّا لا أمانع في قبول الزكاة في رمضان وشوال ويوليو وأغسطس غير أني أخشى أن أصبح ملطشة لمزاج السادة من الأغنياء الجدد. وأقترح تنظيم المسألة بإنشاء جهاز قومي يتولى جميع التبرعات وفلوس الإحسان وأموال الزكاة من البهوات والبشوات وتوزيعها سرًا على الموظفين من أمثال حضرتنا المصابين بداء الفقر والعنطزة"[٢].

(١) حواديت زوجية ساخنة ١٦٠، ١٦١.

(٢) بالطول والعرض ص ١٤.

ثانيًا: المفارقة:

تعددت تعريفات المفارقة، ويمكن اختيار هذا التعريف الذي جمع فيه صاحبه بين المفهوم والخصائص والملامح إذ يقول عنها: "عبارة عن صيغة أسلوبية (مفردة مخاتلة أو جملة مراوغة) مكثفة وثرة بالإيحاءات والظلال والمبالغات والرصيد الحضاري والثقافي وكل ما من شأنه أن يفجر جدلًا نشاطًا ذهنيًا يرمي إلى كشف المتناقضات وتجسيدها بهدف الإصلاح والتقويم"(١).

وتتخذ المفارقة أشكالًا لا شتى وصورًا متعددة على حد قول د/ نبيلة إبراهيم: "وتتعدد أشكال المفارقة وأهدافها، فقد تكون سلاحًا للهجوم الساخر وقد تكون أشبه بستار رقيق عما وراءه من هزيمة الإنسان، وربما أدارت المفارقة ظهورها لعالمنا الواقعي وقلبته رأسًا على عقب، وربما كانت المفارقة تهدف إلى إخراج أحشاء قلب الإنسان الضحية لترى ما فيه من متناقضات وتضاربات تثير الضحك، ومما يزيد الأمر تعقيدًا أن المفارقة ترتبط بكثير من أشكال التعبير الفني، فهي تعد خليطًا من فن الهجاء وفن السخرية"(٢).

والعلاقة بين الفكاهة والسخرية تلازمية لاشتمال المفارقة على عنصر المفاجأة الذي يثير الدهش والإضحاك على نحو ما ذكر د/ عبد الحليم حفني: "ومما يقترن بالفكاهة المفارقات، فاحتواء الكلام على مفارقة لا يتوقعها السامع بأن يكون السامع متابعًا لموضوع ما، وبحكم التوقع المنطقي للأحداث في ترتيب بعضها على بعض يتوقع السامع شيئًا معينًا أو نحوًا معينًا من الكلام يتفق مع ما سبق أن استعمل ويترتب عليه، وإذا به يفاجأ بما لا يتفق مع ما قبله أو ما لا يناسب الموقف، هذا النوع هو المقصود بالمفارقة"(٣).

ولجوء الكاتب الساخر إلى المفارقة إشراك للمتلقي من وجهتين:

١- إثارة انتباه القارئ و تحفيزه للتفكير والتأمل والتفاعل مع النص من أجل محاولة فك شفراته والوصول إلى المعنى المراد تحقيقه.

(١) قراءة نقدية في نظرية المفارقة ص ٢٢.

(٢) فن القص بين النظرية والتطبيق – د/ نبيلة إبراهيم. ص ١٩٨ – ط/ مكتبة غريب. سلسلة الدراسات النقدية.

(٣) أسلوب السخرية في القرآن الكريم ص٢٢.

٢- منح المتلقي انفعالًا؛ ذلك أنه تمنحه حسًا باكتشاف علاقات خفية في النص إذ يشعر للوهلة الأولى بدهشة تدفعه إلى تحليل تلك المفارقة"[١].

وليس الوقوف على المفارقات وإظهارها ليكشف الكاتب عن موهبته الفنية وذائقته الأدبي، وإنما ليؤدي جزءًا من رسالة الأديب من حيث الإصلاح والتقويم ومن ثم "إذا سخر الإنسان من مفارقات يراها أمامه فإنه يأبى على الحياة أن تعود إلى الوراء، أو تقف عن التقدم فيتجمد معها الأحياء؛ إنه يحس بالخطأ الذي يقع فيه التناقض فيواجهه بالضحك عليه والسخرية منه، ويتخذ من ذلك مادة لنقده، وقد يكون نقدًا لاذعًا، لكنه بخفته الساخرة قادر على ألا يثير رد فعل مضاد فينصر الإنسان على التناقضات ويقضي على الخطأ"[٢].

وأكثر ما يعتمد عليه صانع المفارقة المفارقة اللفظية، حيث إن "الكلمة التي تدل على التورية الدرامية الساخرة هي الكلمة التي تجمع بين عنصر المفرقة وعنصر التوريةوعنصر السخرية الذي يرجع في منشئه إلى سخرية القدر الذي ارتبط عبر العصور بالدراما"[٣].على أن المبالغة في المفارقات اللفظية قد تؤدي إلى الغموض والتعقيد الذين يحولان بين المنشئ والمتلقي، فتفقد المفارقة رونقها وبهائها وتصبح ضربًا من الطلاسم والألغاز.

وتتخذ المفارقة في سخرية عاصم حنفي أنماطًا ثلاثة:

١-مفارقة الألفاظ.

٢- مفارقة المواقف والأحداث.

٣- مفارقة الزمان والمكان.

أولًا مفارقة الألفاظ:

تحققت المفارقة اللفظية عند عاصم حنفي من خلال طرق ثلاثة: انفكاك الجهة بين الشيئين، وتأكيد الذم بما يشبه المدح، والهزل الذي يراد به الجد.

---

(١) جماليات السخرية في ديوان كلمات عضي الدكتور/ عبده بدوي. للباحث/ محمد شكري المتولي المتولي كلية اللغة العربية بالمنصورة. عدد (٣٦) ديسمبر سنة ٢٠٢١.

(٢) السخرية في أدب المازني ص ٣١.

(٣) فن الكوميديا – د/محمد زكريا عناني- ص ٢١ – ط/ الهيئة المصرية العامة للكتاب محكمة الأسرة – ١٩٩٨ – مهرجان القراءة للجميع.

أ- انفكاك الجهة بين الشيئين:

يحقق التنافر بين اللفظين المجموعين في سياق واحد مفارقة يقصد الكاتب منها إثارة الانتباه وتوجيه الفكر مثل:

١- المشروبات البريئة وغر البريئة

يحكي الكاتب إبان سفره في الطائرة قاصدًا أسبانيا ما كانت تقدمه له المضيفات فيقول: "أخذتني رقة المضيفات في الطائرة .. وكرم الضيافة عندهن .. وقد التفت حولي ثلاث من المضيفات يتولين شئون الأكل والقهوة والمشروبات البريئة وغير البريئة"(١). ولا يخفى مقصوده من غير البريئة بأنها الخموروالمسكرات بأنواعها.

٢- الجمال الفاجر:

وصف الجمال بالفجور يدعو إلى الدهش لأن الجمال يوصف بالعلو والازدهار يقول الكاتب: "وجمال البت الأسبانية من النوع الهادئ المخصوص، ويختلف تماما عن الجمال الأرستقراطي للبنت السويسرية، أو الجمال الفاجر للبنت الفرنسية، أو الجمال المتعالي للبنت الإنجليزية"(٢). ولعله يقصد بالفاجر: الشديد الذي فاق كل جمال، وآثر هذه اللقطة غير المناسبة لكي تذهب النفس في تخيل هذا الجمال كل مذهب، ويرشح ذلك ذكر صنعات الجمال عند بنات دول شهرت نسائها ببلوغ الغاية في الحسن.

٣- الشورت الشرعي:

وجد الكاتب المجتمع الأسباني يخفف من ملابسه عند شدة حرارة الجو حتى غلب على كل الفئات العمرية لبس الشورت فيقول: "ولأنها بلاد حارة، فمن الطبيعي أن يكون الشورت هو شعار المرحلة وهو الزي الرسمي .. الأب بالشورت الكيلاسيكي والولد بالشورت الموضة .. والبنت بالشورت الساخن .. زحتى الست الوالدة بشورت تفصيل من قماش العرض عرضين"(٣). فأراد الكاتب أن يقلدهم في

(١) بالطول والعرض ص ٢٣.
(٢) السابق ص ٢٣.
(٣) السابق ص ٥٧.

ظل هذا الجو الملتهب في مصر ولكن بطريقة لا تتعارض مع الزي الإسلامي ويبدو أنه لبس شورتًا يستر العورة، وهذا الشكل مخالف لطبيعة الشورت الذي يكون فوق الركبتين، فأراد أن يخلع عليه طابع الشرعية قائلًا: "أنا شخصيًا .. ومن باب كسر القواعد ومحاربة الجمود .. وإثباتًا لحق من حقوق الإنسان .. ارتديت ذات يوم الشورت الشرعي .... والتف حولي شباب المنيرة في مظاهرة حاشدة ورفعوني على الأعناق وهم يهتفون: العبيط آهه أهه"(١). فثمت تناقض بين الشورت الذي يظهر العورة والشرع الذي يأمر بسترها وإن كان ثمت تسمية فيقال: اللباس الشرعي ليس الشورت لأن هذا يتصادم مع الأعراف المصرية. ومن ثم كانت المفارقة.

٤- حضرات البلطجية:

تناقض ظاهر بين كلمة حضرات التي تدل على التكريم وبين كلمة (البلطجية) التي تدل على النهب والغصب والسرقة وقطع الطريق، وذكر الكاتب ذلك في معرض حديثه عن الذين يقومون بإيقاف السيارات في مكان عام يفرضون سيطرتهم عليه ويأخذون جباية من أصحاب السيارات وذكر في موضع آخر (حضرة الحرامي)(٢).وهو المعروف بالسايس، ولم يجد عاصم حنفي تلك الحرفة في أسبانيا، واستحضر صورتها المنتشرة في مصر بصورة مفزعة تدعو إلى الدهشة التي جعلته ينسب إلى هؤلاء ما لا يستحقون من ألفاظ التكريم فيقول: "أما في أسبانيا فالمنادى ممنوع والأماكن متوافرة، والدخول إليها بفلوس ولو تمكنت السياحة أو الثقافة أو الآثار أن تنظم الدخول وركن السيارات في منطقة سيدنا الحسين وباقي الأماكن الأثرية فسوف تكسب ذهبًا من عيار ٢٤ قيراط، يذهب بالفعل لحضرات البلطجية المنادين"(٣).

٥- فشلت بدرجة امتياز:

الجمع بين الفشل والتميز عجيب، فالفشل لا يرقى إلى النجاح فما باله يوصف بالتميز في فشله، والأولى أن يوصف الفشل بأنه ذريع أو كبير أو عظيم

(١) بالطول والعرض ص ٥٨.
(٢) السابق ص١٥٤.
(٣) السابق ص ٦٥.

قال الكاتب ذلك وهو يصف محاولته اليائسة في التزلق على الجليد إذ يقول: "وقد دخلنا التاريخ من وسع بعد أن سجلت اسمي في موسوعة جينيز الشهيرة. باعتباري أول لاعب يسقط على أرض الملعب قبل أن تبدأ المباراة. وكلما ساعدوه على الوقوف وقع من طوله، وفشلت جميع محاولات بدء المباراة .. وهو إنجاز يحسب لمحسوبكم بعد أن فشل الحذاء ذو السكين المدبب في الاحتفاظ بتوازني وقد فشلت بدرجة امتياز. مع أن العشرات من المتزحلقين والمتزحلقات يمارسون الزحلقة في سهوله ويسر"[١]. أكثر من مائتي مرة .. وهو رقم قياسي عالمي .. ومع هذا لم أصب بكسر واحد في ذراع أو ساق .. وهي معجزة بكل المقاييس"[٢]. وفي موطن آخر يقول: "رفاهية المجتمع الرأس مالي حولت الإنسان إلى أناني بدرجة امتياز"[٣].

٦- ابن الحلال (البوي فريند):

لا علاقة بين ابن الحلال المتقدم للزواج عن طريق الخطبة، والبوي فريند الصديق الذي تتخذه المرأة الغربية خدنًا لها وقد جمع الكاتب بينهما مع الفارق الكبير بينهما على نحو ما أوضحه قائلًا: "وحكاية أن لها (بنت ألبرتو الأسباني)بوي فريند فهذا شيئ طبيعي .. ومن حقها .. وهو ما يعادل .. ومع الفارق .. الخطيب عندنا، وكما تتعدد الخطبة أحيانًا يتعدد (البوي فريند) لكن من المؤكد أن البنت لا تجمع بين اثنين في وقت واحد، ولا تسلم نفسها لأي عابر سبيل، وغالبًا ما تتزوج البنت من أول أو ثاني (بوي فريند) تعرفه في حياتها .. والبنت التي ليس لها بوي فريند .. (مشكلة معقدة)، وعلى الوالدين حلها بالاشتراك في النوادي، والذهاب لحفلات الرقص، والتعرف على الأصدقاء .. عس أن يرزقها الله "ببوي فريند" طيب وابن حلال"[٤].

٧- الأجازة والبطالة:

ترتبط الأجازة بالعمل، فالعامل يحصل على إجازة ليستريح ثم يعاود الرجوع إلى العمل وقد أخذ قدرًا من النشاط، أما البطالة فهي في حد ذاتها إجازة مفتوحة

(١) بالطول والعرض ص ٩٩.
(٢) السابق ص٩٩.
(٣) السابق ص ١٠٣.
(٤) السابق ص ٤٥ ، ٤٦.

وليس صاحبها في حاجة إلى مزيد من البطالة، ويحكي الكاتب موقفًا عن صديقة الذي يقنعه بأحقية الحصول على إجازة من البطالة من قبيل المفارقة إذ يقول: "قابلني روبير فرحًا متهللًا وكأنه فتح عكا، قال لي أخذت أجازة من البطالة. قلت: أجازة من البطالة يعني اشتغلت ألف مبروك، قال لا إننا كعاطلين عن العمل نضطر للذهاب مرة واحدة اسبوعيًا لمكتب العمل لختم بطاقة التعطل التي بموجبها نقبض تعويضات البطالة، ولكننا شكونا قلنا إننا من حقنا كعاطلين محترمين أن نأخذ أجازة نتوقف فيها عن ختم البطاقات لنستجم قليلًا .. قال لي روبير: لا تنسى من فضلك أنني عاطل .. نعم لكنني لست فقيرًا"(١).

ب- مفارقة المواقف والأحداث:

تحدث مفارقة المواقف والأحداث إما عن طريق التضاد أو الفهم الخاطئ.

١- التضاد:

حيث يحدث تضاد بين المقدمات والنتائج تأتي المفارقة إذ يؤدي الحدث إلى عكس ما يتوقع منه بأسلوب مفاجئ ومن أمثلة ذلك:

(أ) أن الكاتب كان في أسبانيا، وهي تحارب التدخين في كل الميادين والأماكن العامة، بيد إن الكاتب نسى ذلك وأشعل سيجارة مما أثار غضب رجل نظر إليه شررا ولاحقه وإذا بالكاتب يتوجس خفيه من هذا الرجل أن يكون من رجال البيئة فيفاجأ بأنه يطلب سيجارة يقول الكاتب: "وقد جلست في إحدى الحدائق أتأمل الأحوال وأجدد نشاطي وأشعلت سيجارة بحكم العادة، فإذا برجل يندفع نحوي من أقصى الحديقة وأدركت أنه أحد المحافظين على البيئة، عندما خاطبني بلهجة غاضبة وهويشير إلى سيجارتي، وقد تعجبت للرجل الغلس الذي اختارني بالذات ليحملني مسئولية ثقب الأوزون فتشاجرت معه بالعربي الفصيح وتشاجر معي باللغة الأسبانية، واحتاج الأمر إلى أولاد الحلال من خبراء اللغات الأجنبية لوقف الحرب المشتعلة بيننا، وفي النهاية أفهمني أولاد

(١) بالطول والعرض ص ١٢٦.

الحلال أن الرجل ليس من رجال البيئة وإنما هو خرمان. وكان يريد أن يستلف مني سيجارة"[١].

(ب) ما فعلته الملكة صوفيا الأسبانية من إيجاد حلول جذرية للغجر البالغ عددهم فوق المليون من بين أربعين مليونًا أسبانيًا وقد عاثوا في الأرض فسادًا وأصبحوا يشكلون خطرًا على أمن الدولة، وقد عقدت اجتماعات مع ممثليهم وأبدوا استعدادهم لما تقترحه الملكة عليهم لما يضمن لهم حياة كريمة تجبر الناس على احترامهم ولكن المفارقة في النتيجة الصادمة يقول الكاتب: "وقد وافق الغجر على دعوة الملكة صوفيا بالتنازل عن تجاراتهم المنوعة، ووافقوا على التخلي عن مملكة الليل السرية. والاكتفاء بالمملكة العلنية، حيث المطاعم والبارات، ورقصة الفلامنكو التي حولوها إلى رقصة سياحية، ووافقوا على الاندماج في المجتمع والتخلي عن الكهوف والالتحاق بالمدارس واشترطوا أن يعيشوا معًا في مجتمعاتهم الجديدة بحيث يتم الاندماج بالمجتع تدريجيًا، وبالفعل قامت الحكومة الأسبانية ببناء أحياء بأكملها .. يسكنها الغجر .. وزودتها بوسائل المعيشة الحديثة، وأعلنت صوفيا أن مشكلة الغجر في طريقها إلى الزوال، ولكن لأن الطبع يغلب التطبع فلم تمر سوى شهور قليلة، حتى تخلى الغجر عن مساكنهم الجديدة فباعوا الأبواب والشبابيك. ونزعوا الحنفيات والأحواض وأقاموا الخيام أمام بيوتهم الحديثة. وعاشوا في تبات ونبات في مناطق يصعب اقتحامها والدخول إليها"[٢].

(ج) مشاركة الكاتب في المظاهرات في سويسرا ظنًا منه أنها تطالب بالحرية للأجانب والملونين فإذا بها تطالب بالتحرر منهم وهو أحدهم، ولعل ما أوقع الكاتب في هذا الوهم هو عدم إتقان اللغة الفرنسية التي يتعامل بها المتظاهرون من أتباع النازية يقول عاصم حنفي: "فجأة التفت السادة المتظاهرون نحوي، وكأنهم فوجئوا بيهودي فألقاني أحدهم على الأرض .. زرع بصل .. وتحولت بسرعة لهدف متحرك لصفعاتهم ولكماتهم .. فانطلقت أجري

(١) بالطول والعرض ص ٢٩ ، ٣٠.
(٢) السابق ص ٣٢.

بعيدًا، وتحولت المسيرة السلمية الهادئة إلى سباق مارثون محموم، الكل يجري فيه خلفي، محاولًا لزقي على قفاي، وعلى طريقة امسك حرامي. هتفوا امسك زنجي ملون. فجريت بأقصى قوة، ويا روح ما بعدك روح، والمظاهرة خلفي تقوى وتشتد .. فطفت بهم شوارع جينيف من أقصاها لأقصاها. ثلاث دورات كاملة وأنا أجري .. فشر سعيد عويضة أو كارال لويس حتى استطعت خداع الغاضبين والاختفاء عن الأنظار .. وأدركت أن هناك خطأما قد حدث أو لعل الحزب الوطني قد أوصاهم بي خيرًا، أو لعلهم من أتباع ممدوح سالم أو مجاذيب سيد مرعي. لكني اكتشفت بعد فوات الأوان أن شعار المسيرة لم يكن كما فهمت .. الحرية للأجانب والملونين، وإنما كان الشعار التحرر من الأجانب والملونين ... غلطة صغيرة في الترجمة من الفرنسية للعربية كادت أن تودي بحياتي وتحولني من صحفي إلى مرحوم .. وتحيل عائلتي الصغيرة المستقرة إلى ورثة شرعيين .. يطوفون أبواب المجلس الحزبي ووزارة التأمين والمعاشات"[١].

(د) الأزمة الصحية التي مر بها الكاتب حتى كاد يهلك، والتي تقتضي شفقة الناس عليه لاسيما أهله، وتأتي المفارقة في عدم تعاطف أهله معه، وعدم اكتراث الأصحاب به وكانت تلك الصدمة أشد عليه من تداعي العلل وتزاحم الداءات يقول: "كنت أظن والحالة كذلك أن تعلن حالة الطوارئ في المنزل وأن يستدعى الطبيب على الفور، وأن يبلغ نبأ مرضي لأصدقائي ومعارفي، وأن ينشر الخبر في الجريدة الرسمية، وأن تقطع الإذاعة والتلفزيون إرسالها العادي، لينقل للجماهير النبأ الحزين كنت أتصور أن مرضي المفاجئ، يعني أن تهل قبائل الزائرين بعلب الملبس ولشيكولاته وباقات الأزهار وأطنان الهدايا والفاكهة لكن شيئًا من هذا لم يحدث .. وحتى زوجتي لم تهتم .. ولم تحرك الأحداث الجسام فيها ساكنًا زعقت من تحت اللحاف، وأنا أتصبب عرقًا في عز البرد، وجاءت زوجتي من المطبخ غاضبة قلت لها إنني أشعر بأني في النزع الأخير، وأنني سوف أغادر الدنيا الفانية، أن لدي وصية مهمة، وتقسيمة

(١) بالطول والعرض ص ٨٥ ، ٨٦.

عبقرية لثروتي المتواضعة، ومعاشي المحدود بينها وبين عائلتي. فشخطت زوجتي وهي تضع كفها البارد فوق جبيني الملتهب مؤكدة أن عمر الشقي باق. أغلقت علي المدام باب الحجرة بعد أن أحكمت إغلاق النوافذ ومنعت دخول البنتين .. خوفًا عليهما من العدوى .. وعاملتني كالمريض بالجرب والأمراض الجلدية "ممنوع الاقتراب والتصوير""[١].وتزداد المفارقة من خلال موقف الزوجة الصادم "زوجتي التي كانت تنام من المغرب .. صارت تشاهد برامج التلفزيون كلها ولا تكتفي فتشاهد الفيديو وتسمع أغاني"[٢].

(هـ) اعتراض الكاتب على انتظام المرأة في سلك الجندية لعدم تناسب تلك المهمة مع طبيعة المرأة، ولكن المفارقة في أن تكون المرأة وسيلة جذب للمجندين لا وسيلة طرد من خلال اعتبارات معينة لفت الكاتب إليها إذ يقول: "وليس سبب الإعتراض أن هذه النوعية من الأعمال ثقيلة فعلًا تليق بالجنس الخشن والغليظ، ولو عرف الأعداء أن الحدود تحرسها واحدة من الجنس الناعم لكانت هذه دعوة صريحة للأعداء لغزو الحدود، وحضرة الحرامي الذي يخطط لسرقة البنك سوف يتشجع كثيرًا، لو كانت تحرس البنك مجموعة من الحسنات وساعتها سوف يتمنى الحرامي طبعًا أن يسقط في قبضة الشرطيات الفاتنات بدلًا من ضياع وقته الثمين في سرقة الأموال والمجوهرات وأقصد أن المرأة الشرطية لن تتعامل بالحزم المطلوب مع اللصوص لسبب بسيط أن رهافة حسها ورقتها الموروثة عن أمنا حواء سوف تمنعها من إطلاق الرصاص في الوقت المناسب والتعامل العنيف مع الخارجين عن الأمن والنظام، أما لو كانت المرأة تتولى سلاح الطيران فيا داهية دقي، وكان الله في عون زوجها، والذي سيتعرض حتمًا لصاروخ جو أرض فيما لو لعب بديله أو حاول استغفال حبيبة القلب المسلحة بالهاون والمدافع والطائرات والصواريخ"[٣]، "وسبب آخر عائلي يدعوني للاحتجاج بشدة على اقتحام المرأة لميدان الجندية والبوليس.

(١) حواديت زوجية ساخنة ص ٨٩.
(٢) السابق ص ٨٩.
(٣) السابق ص ١١٨.

وهوأن السيدة زوجتي ترغب في الأخرى في اقتحام الميدان بحجة أنها من الجنس الناعم اللطيف تصوروا"[١].

(و) ارتباط حميمية العلاقة بين الزوجين بارتفاع ضغط الدم. وتبدو المفارقة في هذا التناقض؛ إذ المعهود أن ذلك يحدث عند الشقاق وكثرة الخلافات واتساع الهوة بينهما فالغرابة في ترتيب حسن العلاقة على سوء المعاملة المترتب على ارتفاع الضغط يقول الكاتب:

"أحدث دراسة يابانية طازة تطالب الزوجات والأزواج بوضوح بضرورة رفع ضغط الدم عند الطرف الآخر حتى تظل جذوة الحب مشتعلة بين الطرفين، لأن ارتفاع ضغط الدم في عروق الزوج أو الزوجة مطلوب أحيانًا، حيث إن ضغط الدم هو ترمومتر العواطف والأحاسيس، ولو ارتفع المؤشر قليلًا فهذا يعني أن العلاقات بين الزوجين على ما يرام وأن جذوة الحب لا تزال مشتعلة، تحت رماد الجمود والتجاهل والمشاغبات اليومية، أما لو هبط ضغط الدم –لا قدر الله– فهذا يعني أن كلا الزوجين قد زهق من الآخر بصريح العبارة، وأنهما توقفا عن الاهتمام بالطرف الآخر وأن سفينة الزواج تواجه جبال الجليد، وأن العلاقة بينهما قد بلغت سن اليأس العاطفي"[٢].

ويسحب الكاتب هذا الأمر على زوجه التي تحرص على رفع ضغط الدم لزوجها، ويعد ذلك من قبيل السعادة فيقول: "ومن حسن حظي أن السيدة زوجتي تؤمن بأن الوقاية خير من الذهاب إلى الطبيب، فتقوم بمبادرة شخصية منها بالتعامل مع ضغط دمي تبعًا لمزاجها الشخصي مرة ترفعه إلى درجة الغليان ومرة تخفضه إلى درجة التجمد"[٣].

(١) حواديت زوجية ساخنة ص ١٢٠.
(٢) السابق ص ١٣١.
(٣) السابق ص ١٣٣.

٢-مفارقة الفهم الخاطئ للأحداث:

يسمي د/ جميل عبد الغني هذه المفارقة (مفارقة الورطة) إذ يقول: "في هذا النوع من المفارقة يتم تقديم الأحداث بطريقة مبنية على الفهم الخاطئ من قبل الشخصية بطريقة تصنع ورطة، وقد يكون هذا الفهم الخاطئ مستمدًا من أحداث مأخوذة من الواقع أو من أحداث مستمدة من الوهم"(١).

ومن أمثلة الفهم الخاطئ المستمد من أحداث مأخوذة من الواقع:

(أ) اقتران الشغب بالعربي الذي تتناقض شخصيته من منطلق خطأ في فهمه لمسألة الزواج، يقول عاصم حنفي: "قبل الزواج يبدو المهاجر العربي رقيقًا .. ودودًا .. عطوفًا .. جنتلمان متحضرًا، وهي صفات تأسر قلب البنات هنا في مجتمع المادة والمنطق والسرعة والكمبيوتر .. وحساب كل شيئ .. بعد الزواج يتحول المتحضر العصري إلى رجعي محافظ يخرج من جيبه بعد انتهاء شهر العسل قائمة طويلة بالممنوعات. ممنوع الخروج. ممنوع الفسح. ممنوع الكلام مع الآخرين. الضحك من غير سبب قلة أدب والداهية لو سافرت العروس إلى بلاده ساعتها سوف يتحول إلى (سي السيد) مضروب في عشرة، ويفرض عليها الحجاب أو النقاب ومصاحبة أمه وخالاته في بيت العائلة الكبير، فإن عصت أو اعترضت حبسها وضربها وتزوج عليها ولا تنس أن الشرع يبيح له ذلك .... المصيبة أن إخواننا العرب يزجون بالشريعة الإسلامية في علاقاتهم بالمجتمع بمناسبة وبدون مناسبة. يضرب الواحد فيهم زوجته علقة ساخنةفإذا شكت البوليس قال الدين يعطيني الحق في تأديبها، إذا خطف أولاده وسافر، برر المسألة بأن حضانة الأولاد من حقه هو لسبب السيط أنها أجنبية لا تدين بالدين الإسلامي أو لأنها غير محتشمة وسمعتها ليست على ما يرام"(٢).

(ب)ارتباط الغنى الفاحش والثراء السريع بالاقتراض والسلفة، وهذا الفهم الخاطئ لا يؤدي بصاحبه إلى الغنى وإنما سيظل واقفًا بين مطرقة البنوك وسندان الفائدة فلا يستطيع أن يحقق ما يصبو إليه من غنى لأن الزيادة ستلتهم

(١) قراءة نقدية في نظرية المفارقة ص ٩٩.

(٢) بالطول والعرض ص ٧٢ ، ٧٣.

التوفير، والمفارقة تكمن في تورط الشخصية المقترضة في هذا المأزق الذي لا تجد مناصًا منه إلا التفكير في الهروب وقد رأى صاحبنا وهو في سويسرا مدير بنك لا يتجاوز الثلاثين من عمره وقد استطاع أن يعود بالملايين على البنك وعلى المودعين، ففكر أن يحذو حذوه كي يستطيع الزواج فعرض الفكرة على خطيبته قائلًا: "قلت لخطيبة المستقبل .. وقد فهمت تمامًا أصول اللعبة .. إنني شخصيًا أمتلك فكرة عبقرية مجنونة يمكن أن تحقق الملايين والملايين، فنستطيع مثلًا أن نطلب سلفة من البنك السويسري نشتري سيارة زلموكة من أحدث موديل ثم نذهب إلى مصر ونبيعها هناك بأضعاف سعرها ثم نشتري من مصر بعض البضائع المطلوبة في سويسرا كبعض الخواتم والمجوهرات الفالصو من خان الخليلي ولا مانع من الملوخية الناشفة و(الويكة) لزوم إخواننا المصريين، ثم نعود مرة أخرى لنطلب سلفة من البنك السويسري لنودعها في أحد البنوك المصرية لنستفيد من سعر الفائدة المرتفع فنسدد ما علينا للبنك السويسري ونعيد استثمار الباقي. وهكذا نتحول إلى أصحاب ملايين خلال عامين أو ثلاثة بدلًا من الانتظار عشرا وعشرين سنة ويمكن حتى أن نستلف من البنك السويسري ثم نفر هاربين إلى مصر دون أن نسدد ما علينا على اعتبار أنا من فئة الواحد في المائة النصابين الذين يتعامل معهم البنك، نظرت إلى خطيبتي وقد امتقع لونها، وقالت لي بعبارة مختصرة: إنها كانت تتصور أنني شخص ملتزم، ولست نصابًا دوليًا، و..... خلعت خاتم الخطوبة، وتركتني مسرعة، وكما في الأفلام العربي، لم أجر ورائها، لأمنعها من الإقلاع والمغادرة، وإنما وقفت أمام الباب أهتف باسمها مرتين فسألتها على فين فقالت وهي تغالب دموعها: سأتزوج مدير البنك"(١).

ومن أمثلة الفهم الخاطئ المأخوذ من أحداث مستمدة من الوهم:

(أ) استبدال الطبيب البشري بالطبيب البيطري في علاج الإنسان، وتأتي المفارقة من خلال تلك المقارنة التي أجراها الكاتب بينهما بعد ما ألم به الداء العياء وهاجمته العلل والأسقام، ويخشى أن يجمع إلى المرض حسرة دفع المال الكثير

(١) بالطول والعرض ص ١٣٦.

إلى الطبيب البشري فيقول: "واستبعدت تمامًافكرة الذهاب إلى طبيب بيطري رخيص كما كان يفعل صديق لي يرى أن الطبيب البيطري أفضل ألف مرة من الطبيب البشري بدليل أنك عندما تذهب إلى الطبيب البشري تصف له بالضبط الآلام التي تشعر بها وتعدد له بدقة جميع الأعراض ومعاد تكرارها، ويكتفي الطبيب بوضع السماعة على صدرك ويسألك أن تقول آه، فتقول آه، فيرفع السماعة، ويكتب لك الروشتة ويقبض الأتعاب، أما الطبيب البيطري فهو ماهر بالفعل يدخل الحمار إلى عيادته وهو يعاني الآلام، فيتولى الطبيب وبنظرة واحدة تشخيص المرض وتحديد العلاج المناسب ولا يكتفي بكتابة الروشتة، وإنما يشرف على تعاطي الحمار المريض للدواء، فيخرج الحمار من عيادته سليمًا معافى وهو ينهق ضاحكًا من السعادة والانبساط ولأن الإنسان حيوان ناطق كان صديقي يفضل الذهاب للطبيب البيطري مؤكدًا أن أمراضنا نحن والحمير أمراض مشتركة، ولما يصاب الإنسان بالحصبة والبرد والروماتيزم يصاب الحمار أيضًا، فالقلب واحد والرأس واحد والفارق الوحيد أن الحمار لا يصاب بأمراض التخمة، لأنه يأكل ما يكفيه، عكس الإنسان الذي يأكل وباستمرار ما يكفي لخمسة أفراد من الفصيلة الحميرية"(١).

ولعل تداعي العلل على الكاتب شغله عما يتوهمه من هدايا الزائرين وحدبهم عليه لاسيما زوجه حتى قال: " كنت أتصور أن مرضي المفاجئ، يعني أن تهل قبائل الزائرين بعلب الملبس ولشيكولاته وباقات الأزهار وأطنان الفاكهة والهدايا لكن شيئًا من هذا لم يحدث وحتى زوجتي لم تهتم ولم تحرك الأحداث الجسام فيها ساكنًا"(٢).

(ب) الاستعاضة عن الساعة الزمنية المتحركة بالثابتة المتوقفة وتكمن المفارقة في تتبع الزمن للأشخاص بدلًا من تتبع الإنسان للزمن وملاحقته يقول الكاتب تحت عنوان الساعة التذكارية:"تحفة فنية حقيقية .. صممها فنان مشهور .. حرص على أن يوقع بنفسه على سطحها المطلي بالذئبق، وبجوار الماركة (سواتش) صنع في سويسرا، ودفعت للراجل ثمنها فورًا، وطلبت منه أن يضبط

(١) حواديت زوجية ص ٨٥ ، ٨٦.

(٢) السابق ص٨٨ ، ٨٩.

عقاربها بالدقيقة والثانية على التوقيت المحلي لبلادنا الجميلة، لكي أتباهى بها بين الأهل والأصدقاء ونظر لى الرجل في دهشة وقال لى: لكن الساعة لا تعمل، أقصد أن عقاربها ثابته لا تتحرك، وأنها فقط تصدر صوت تك .. تك، سألته في دهشة عن الغرض من شراء ساعة لا تعمل فقال لي: إنها ساعة حقيقية بها جميع تروس الساعة العادية لكنها تخلو من العقارب، تقول البطاقة التوضيحية: إننا نظل طوال عمرنا نلهث وراء الزمن وقد جاء الوقت ليلهث الزمن خلفنا، بفضل تلك الساعات التي لا يمكن من خلالها معرفة الزمن، لأنها ببساطة ساعات سيريالية ولهذا الإقبال عليها في سويسرا منقطع النظير؛ في محاولة للتخلص من ضغوط الزمن وروتين العمل الحكومي قلت لصاحب المحل: إنني أشعر كما لو كنت سائحًا يابانيًا يشتري لوحة كلها مطلية باللون الأسود، لإحاول اكتشاف النور الداخلي والشمس الكامنة وراء السواد، ولهذا لن أشتري الساعة، ونصحني صاحب المحل بشرائها ثم إعادة بيعها لأحد محلات التحف على بعد خطوات مؤكدًا أنني أستطيع أن أكسب ضعف ثمنها على الأقل لكنني رفضت بشدة، واستردت نقودي، وبينما هممت بمغادرة المحل سمعته يهمس لزميله أصحاب عالم ثالث، ولم أدرك بالضبط إذا كانت عبارته الأخيرة مدحا أم ذمًا"[(١)].

ثالثًا: مفارقة الزمان والمكان:

تعني مفارقة الزمان والمكان عدم تواؤمهما مع مقتضيات العصر ومتطلبات البيئة، فيحدث تنافر بين الحدث وبين بيئته الزمانية والمكانية "فهما يخالفان ما يوجد فيهما من أشخاص وأحداث ولغة، الأبعاد هنا معهما مضللة، ولا تعرف الشخوص تفهمها، وتتعامل معها بشكل مخالف لطبيعتها، النتائج فيها ليست مترتبة على الأسباب ولا الأسباب فيها تؤدي إلى النتائج، إذا توقع الإنسان منها أمرًا لا يجده إذا تخيلنا ثباتهما ووجدناهما متحركين، والعكس صحيح كذلك وإذا طلبنا السعادة فيهما حققناها شقاء"[(٢)].

(١) حواديت زوجية ساخنة ص ١٤١.

(٢) قراءة نقدية في نظرية المفارقة ص ١٤٢.

أ-مفارقة الزمان:

١- رؤية الكاتب لحادث نشل في لندن على مرأى ومسمع من رجال الشرطة الذين ضاعت هيبتهم، وتبدو المفارقة أنهم كانوا في الماضي مصدر قوة لزجر كل من تسول له نفسه السرقة فتقل جرائم النشل، أما وقد كثرت الجرائم فذلك دليل على سقوط هيبتهم في نفوس المجرمين يقول الكاتب: "وقد أدركت ساعتها بالصوت والصورة معنى تشبيه الإنجليزي بأنه بارد وبامتياز خصوصًا وقد وجدت أحد رجال الشرطة الذين كان يقف على شنباتهم الصقر في الماضي وقد أدار وجهه بعيدًا، وكأن الأمر لا يعنيه، وقد حلق شنبه فطار الصقر وضاعت الهيبة .. عليه العوض .. ومنه العوض .. على الإمبراطورية التي غابت عنها الشمس .. وانحسرت. فراحت في سبات عميق"(١).

٢- اختلاف المفهوم الحقيقي للعبادة بين السلف والخلف فليس ثمة انفصام بين العبادات والمعاملات بل لابد من إدراك أثر العبادة على التعاملات والسلوكيات فخلف من بعدهم خلف انحسر لديهم مفهوم العبادة في مجرد إقامة الشعائر ويشير الكاتب إلى تلك المفارقة الزمانية بقوله:

وفي الماضي البعيد كانت الصلاة أثناء العمل .. سريعة وفردية يقوم بها الشخص وحده وبسرعة، حتى يتفرغ للعمل الذي هو عبادة، أما الآن فقد أصابتنا لوثة من التقوى فهجرنا العمل وتفرغنا للعبادة"(٢).

٣- المقارنة بين زمن ماض سعيد كان الاكتفاء الذاتي للمواطنين أبرز مظاهره، وزمن حاضر عجيب أصبح أبناؤه عالة على غيرهم، يستوردون منهم كل شيئ (من الإبرة إلى الصاروخ) في ظل غياب الوعي الوطني وتظهر المفارقة في بيان آثار كل زمن على أهله سلبًا أو إيجابًا يقول الكاتب: "وعلى بلاطة لا أفهم سر هذه الهوجة لاستيراد طعامنا وشرابنا من الخارج، مع أننا دولة زراعية منذ آلاف السنين فهل أصابنا الكسل فجأة؟ وحتى الجبن الدمياطي إنتاج بلدنا صرنا نستورده من هولندا .. والفول المدمس .. وهو اكتشاف فرعوني

(١) بالطول والعرض ص ١٥٤.

(٢) حواديت زوجية ص ١٦٢.

بالمناسبة يباع عندنا في السوبر ماركت من إنتاج الصين وكوريا. والحلاوة الطحينية التي هي اختراع مصري. نستوردها الآن بالمكسرات من قبرص ولبنان. وباختصار شديد صرنا نستورد كل شيئ .. من الإبرة للصاروخ .. من القمح للدقيق والأرز والقطن والعدس والمكرونة والسمن والسكر والزيت والصابون والشيكولاته، بل وحتى الأعضاء البشرية والدم الملوث بالإيدز. صرنا خبراء في استيراده من الخواجه. والمصيبة أننا لا نستورد لأننا نعاني قصورًا في الإنتاج. لكنها بدعة والعياذ بالله. ومن أجل خاطر عيون السادة من الأغنياء الجدد الذين يبحثون عن التيكيت المستورد قبل التعامل مع البضاعة. ووالله العظيم إنه ليس عيبًا أن تكون صناعتك نصف نصف، والمهم فقط أن نعتمد على أنفسنا لأن اعتمادك على الخارج يعني أنك تتنازل بكامل إرادتك. عن استقلالك الذاتي وعن فلوسك الصعبة لحضرة الخواجة"[١].

أ- مفارقة المكان:

١- مقارنة الكاتب بين البيئة العربية الغنية بالموارد الطبيعية المساعدة على الإنتاج وبين بيئات أخرى ليس لديها تلك الامتيازات ويزيد إنتاجها. وتبدو المفارقة في عدم استغلال الإمكانات المتاحة بل الاستسلام إلى الدعة والكسل في الشرق ومحاولة التغلب على الظروف المناخية الصعبة في محاولة للإفادة منها في الغرب فتحت عنوان "ودخلنا العصر الجليدي" يتحدث الكاتب عما أسماه "الثقافة الثلجية" في الغرب مقابل الثقافة الرملية عند الشرق يقول: "ولو أنني مسئول أو حاكم بأمره لأمرت فورًا بإقامة مصانع للثلوج في كل مكان في بلادنا لأنه من العجيب أن الثلج يساعد على النشاط لا العكس، فيخرج البني آدم من بيته من النجمة لبدء رحلة الكفاح يكافح في الثلوج المتراكمة طوال الماء أمام بيته تمنعه من الحركة. ويكافح الثلوج المتراكمة على سيارته. فيخترع جنزيرًا يغطي إطار السيارة لتتمكن من السير فوق الجليد، وهو يشبه جنزير الدبابة، ثم يخترع كساحات لكسح الثلوج التي تمتد عشرة شهور في السنة ومع هذا لا يعرفون الكسل، فيذهبون للشغل من السابعة صباحًا،

(١) حواديت زوجية ساخنة ص ١٧٠.

ينتجون ويزرعون ويحصدون ويعملون في المصانع والمتاجر .. في حين أن إخواننا أصحاب ثقافة الرجال الذين يتمتعون بالمناخ الصحو طوال شهور السنة والأرض عندهم منبسطة بلا جبال أو موانع أو عوائق طبيعية، والشمس دافئة تساعد على الشغل والحركة والشتاء لطيف ناعم بلا عواصف أو صواعق أو رياح عاتية، والبحر صاف رائق لا يعرف الغضب والثورة أو الأعاصير التي تقتلع كل أشكال الحياة ومع هذا فشعوب الرمل كسلانة .. نائمة في العسل .. تعمل على سطر .. وتترك عشر سطور، لو أمطرت السماء مرة لجلسنا في بيوتنا ننعي حظنا الدكر .. وقد تعطلت المواصلات العامة وغرقنا في بحور الطين المتحركة وهرب سائقو التاكسي الأندال من الشغل بحجة المطر وجو المطر"(١).

٢- شهود مكان واحد حدثين متناقضين في مفارقة عجيبة، فقصر الحمراء في أسبانيا تحفة معمارية عز نظيرها "وقد سمي بالحمراء لأن الطبقة التي استخدمت في بناء الحوائط حمراء اللون، ويقولون أيضًا أنه سمي بالحمراء لأن أنواره المتلألئة لم تنطفئ يومًا على مدى تاريخه الطويل"(٢).

وحديث الكاتب عنه بهذا الوصف يجعله مسرحًا لأحداث جسام، وتكون المفارقة في أن يشهد القصر زوال المجد بعد أن ظل ردحًا من الزمن مبعث عز وفخار، ومجد وانتصار، يقول الكاتب: "في قصر الحمراء قاعة للاستقبال مساحتها ٤٤٤م٢، وبها ١٢٤ عمودًا من الرخام، وارتفاع سقفها عشرين مترًا ... وهذه القائمة بالذات هامة جدًا، فقد مارس الحكام العرب أمور الحكم فيها، وعقدوا الاتفاقيات والمعاهدات، وخططوا وتمكنوا من غزو نصف أوربا، واستقبلوا فيها السفراء والملوك ومندوبي الدول الأجنبية ... ويشاء التاريخ أن تشهد نفس القائمة زوال الحكم العربي، وفيها وقع آخر الخلفاء وثيقة التنازل عن العرش بسقوط غرناطة في نهاية القرن الخامس عشر"(٣).

(١) بالطول والعرض ص ٩٨.
(٢) السابق ص٢٥.
(٣) السابق ص٢٦.

ومن مفارقات المكان اجتماع ديانتين في مبنى واحد، يقول عاصم حنفي: "المساجد الكاتدرائية –إحدى عجائب الدنيا– لو جاز التعبير، فبعد سقوط قرطبة في أيدي العرب، قاموا بشراء نصف كاتدرائية قديمة لتحويلها إلى مسجد، وبدخول الأسبان إلى الدين الإسلامي، قام العرب بشراء النصف الآخر من الكاتدرائية لتصبح مسجدًا، ويتولى عبد الرحمن الداخل الشهير بصقر قريش الخلافة، وإعلان نفسه خليفة على البلاد، قرر تحويل المسجد إلى مسجد كبير على طراز المسجد الأموي في دمشق، وخلال عهد عبد الرحمن وعهود أخرى تمت توسعة المسجد ليصبح المسجد الأكبر بين بلدان الدول الإسلامية، ولكن بسقوط قرطبة، واستيلاء المسيحيين عليها، تم تحويل المسجد إلى كاتدرائية، لكن المسلمين استولوا على قرطبة مرة أخرى فأعيد المسجد، وهكذا بتكرار السقوط والتحرير أصبح المسجد الكاتدرائية معًا"(١).

ثالثًا: التناص:

ثمة تعالق بين السخرية والتناص؛ إذ يجعل الكاتب من التناص أداة فعالة للسخرية من عديد من المواقف؛ لاسيما في السلوكيات المنافية للتحضر والمدنية، ويثير التناص الساخر الدهشة لدى المتلقي الذي يتلمس قدرة الكاتب على توظيف النصوص في تحقيق السخرية، ويضمن عاصم حنفي كتاباته الساخرة بعضًا من آي القرآن مقتبسًا ومستشهدًا، وشيئًا من نصوص البيان النبوي، ويستدعي عديدًا من الحكم والأمثال، وربما يستأنس ببعض مقاطع من الأغاني الشعبية، أو عبارات من الأفلام والمسرحيات، أما القرآن الكريم فقد ضمن الكاتب بعضًا من تراكيبه الأسلوبية شيئًا من جمل آي الذكر الحكيم على سبيل الاستئناس في مواطن معدودة، كقوله: "ومن حسن الحظّ أن صقر قريش قد قضى نحبه قبل أن يتمكن من استكمال المشروع الغريب"(٢)، يقصد عبد الرحمن الداخل، وقوله: "ولأن الأقربين أولى بالمعروف فقد قررت أن أساعد (روبير) صديقي السويسري العاطل عن العمل"(٣)،

(١) بالطول والعرض ص٢٨، ٢٩.
(٢) السابق ص٦٣.
(٣) السابق ص١١٩.

فهو مضمن معنى قوله –تعالى–: ((كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيرًا الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقًّا على المتقين)) [سورة البقرة – آية ١٨٠]، ويقول:

"قرر الرجل (روبير) أن يرد على عزوماتي التي تتكرر بعزومة على إنتركوت محترم دفع فيها ٦٠ فرانكًا كاملة؛ ليثبت أن الخير يبقى لأصحابه، وأن الحسنة بعشر أمثالها فعلًا ..." (١).

فهو يقتبس قول الله –تعالى–: ((من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها)) [سورة الأنعام، الآية ١٦٠].

وفي حديثه عن زلزال أقض مضجعه، وأقلق منامه يقول: "ويكاد يحولني في لحظة من شخص يتحرك ويتكلم، ويأكل، ويمشي في الأسواق إلى خبر صغير في صفحة الوفيات"(٢)، فعبارة يمشي في الأسواق من قوله –تعالى–: ((وقالوا مالهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق)) [سورة الفرقان، آية٧]، وقوله: "واقف وحده ملوما محسورا"(٣) من قوله –تعالى–: ((ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا)) [الإسراء، الآية٢٩].

ويحكي عن زوجه قولها، "خليك مثل بعض الكتاب إياهم، الذين يسبحون بحمد الوزير والوكيل والسكرتير طالما هم في السلطة"(٤)، فأخذ الكاتب قوله – تعالى–: ((وتوكل على الحي الذي لا يموت وسبح بحمده)) [سورة الفرقان، آية٥٨]، لأولئك الذين يمالئون أصحاب السلطات.

وأما الحديث النبوي الشريف، فقد أخذ الكاتب بعضًا من عباراته نصًّا كقول الكاتب عن عدم تفاوت الألقاب في سويسرا؛ بل موحّدة في لقب واحد "مسيو"، مهما كان مستوى الفرد غنًى وثراءً يقول: "والألقاب ممنوعة، لم تمنعها ثورة اجتماعية،

(١) بالطول والعرض ص١٢١.
(٢) حواديت زوجية ساخنة ص٣٢.
(٣) السابق ص٣٤.
(٤) السابق ص١٥٣.

أو انتفاضة شعبية، ولكنها ممنوعة بحكم الأصول، وبحكم أننا أولاد تسعة، وبحكم أن الناس سواسية كأسنان المشط"(١).

والكاتب إذ يثمّن ذلك النظام السويسري، فإنما يعرِّض بهؤلاء الذين يقيمون للألقاب وزنًا أي وزن، وتحدث حزازات اجتماعية، وفوارق طبقية، لاسيما في المجتمعات الإسلامية، التي يدعو الإسلام فيها إلى المساواة، وأنه لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى.

ويؤكد الكاتب على هذا المعنى، بما يناسب المجتمع السويسري من أن التفاضل بالعمل والإنتاج، مضمّنًا خلاله معنى الحديث النبوي الشريف : "لا فضل لعربي على أعجمي ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى"(٢)، فيقول: "أما في سويسرا فأنا مسيو محترم، والكل هنا سواسية، لا فضل لمسيو على مسيو إلا بالعمل والعطاء والإنتاج"(٣).

ويتحدث الكاتب عن شباب أسبانيا في الحرية مقارنًا بينهم وبين مجتمعات أخرى لديها حرية منضبطة بمجموعة من القيم والأفكار، ومنها: "وإذا اجتمع ولد وبنت كان الشيطان ثالثهما"(٤)، فهذا مأخوذ من حديث: "لا يخلون رجل بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما"(٥)، ومن عجب أن الكاتب حين ذكر هذا المعنى لم ينص على أنه جزء من حديث، وإنما وصفه بأنه إحدى القيم التي قدستها بعض المجتمعات، حتى رفعتها إلى منزلة النصوص الدينية، والأعجب أنه وصفها بالقيم الفاسدة، ولربما كان ذلك على سبيل السخرية"(٦)، وفي حديث: "لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين"(٧)، وفي حديث: "انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا"(٨)، يقول الكاتب:

(١) حواديت زوجية ساخنة ص٧٧.
(٢) رواه الإمام أحمد.
(٣) بالطول والعرض ص٧٨.
(٤) السابق ص٣٦،
(٥) رواه أحمد والترمذي.
(٦) بالطول والعرض ص٣٦.
(٧) صحيح البخاري.
(٨) صحيح البخاري.

"لا يلدغ المؤمن من جحر مليون مرة"[١] في الحديث الأول، وفي الثاني يقول: "انصر حبيب القلب ظالمًا أو مظلومًا"[٢].

ويستخدم الكاتب صيغة الحمد "الحمد لله الذي لا يحمد على مكروه سواه"، فيما توصل إليه العلم الحديث من مخترعات تضر أكثر مما تنفع، وتفسد أكثر مما تصلح، يقول: "تحوّلت البلاد الآمنة الهادئة والمستقرة إلى ساحة الرصاص والقنابل والمسدسات، فالحمد لله الذي لا يحمد على مكروه سواه"[٣]، ويستخدم دعاء: "اللهم إني لا أسألك رد القضاء ولكني أسألك اللطف فيه"، قائلًا: "رب لا أسألك رد الإصلاح، ولكني أسألك اللطف فيه"[٤].

التناص الأدبي:

أ-الشعر:

١-إبان سفر الكاتب إلى سويسرا وجد أن الزواج هناك قائم على المصالح المشتركة (البيزنس)، ومعظم الزواج عن طريق المكاتب، وكثير منهن عجائز شمطاوات وهن لا يفضّلن الزواج من الجنس العربي، يقول الكاتب:

"أما الزواج كباقي خلق الله من سنيورة حسناء، فهو من رابع المستحيلات لسبب بديهي، هو أنك عربي بالباسبور والطباع والملامح، نعم، الخيل والليل والبيداء تعرفني، كان زمان وجبر يا صديقي"[٥].فالكاتب يستدعي شطر بيت المتنبي والضرب والطعن، فالخيل والليل والبيداء تعرفني ... والقرطاس والقلم"[٦].

ويأتي تناص الكاتب مع المتنبي من قبيل التناقض، فالمتنبي يعتز بعروبته التي هي مصدر مجد وفخار على عكس عاصم حنفي الذي يعكس انطباع الغربي عن العرب، وما تحمله هذه الكلمة لديهم من القسوة والخيانة والتخلف، والسخرية من

(١) بالطول والعرض ص٦٧.
(٢) حواديث زوجية ص١٦٧.
(٣) السابق ص١٦٧.
(٤) السابق ص١١٥.
(٥) بالطول والعرض ص٧٢.
(٦) ديوان أبي الطيب المتنبي – شرح أبي البقاء العكبري – تح/ مصطفى السقا وإبراهيم الإبياري وعبد الحفيظ شلبي – ٣٦٩/٣ – ط/ الحلبي – الأخيرة ١٩٧١م.

الجنس العربي صنعها العرب أنفسهم.

٢- يسمي الكاتب ثقافة العرب بالثقافة الرملية في مقابل الثقافة الغربية المسماة بالثقافة الثلجية، وتحت عنوان: دخلنا العصر الجليدي، يقول عاصم حنفي: "وقف الخلق ينظرون جميعًا كيف أتسلق جبال الألب وحدي"(١)، هذا البيت مأخوذ من قول حافظ إبراهيم:

وقف الخلق ينظرون جميعًا ∴ كيف أبني قواعد المجد وحدي(٢)

والتناص يعكس رؤية كل جنس لبني جنسه، فالمجتمع الغربي يعنى بالماديات، ويتابع عن كثب أحداث ما حصل إليه العقل البشري من تقنيات حديثة، بينما يهتم المجتمع العربي بإرساء دعائم القيم وأصول المجد، وترسيخ مبادئ الأخلاق، وتعزيز أسس الدين.

ومن خلال التناص أثبت الكاتب عجزه، وهو يمثل الجنس العربي عن مجاراة الغرب في قدرتهم الفائقة، وصمودهم في صعود قمم الجبال الثلجية، ويكشف عن الفرق الشاسع بين الثقافة الثلجية والثقافة الرملية بقوله:

"ومحسوبكم ضعيف في علم الثلج، لا يعرف عنه سوى أننا نضعه في الماء لنشرب الماء الساقع صيفًا، في حين أن للتعامل مع الثلج والجليد قواعد وتجارب وأسرارًا، باختصار شديد، أكتشف أنني عديم الثقافة الثلجية؛ لأنني أنتمي –ولا فخر– للثقافة الرملية، بدليل أن أشهر أشعارنا في الفخر الحماسة عن الخيل والليل والبيداء، وسنام الجمل، في حين أن أشعارهم الخالدة تدور حول الثلج والجليد الذي يعرفون منه عشرين اسمًا ونوعًا"(٣).

٣- حذّر الكاتب من مغبة تسريح الجيش السويسري والاستغناء عنه، وأثر ذلك على تهديد أمن الوطن واستقرار البلاد، وذلك:

"لأن الأعداء قد يستغلون سذاجة السويسريين، فيهجمون على الأوطان في

(١) بالطول والعرض ص٩٥.

(٢) ديوان حافظ إبراهيم – تح/ أحمد أمين وأحمد الزين وإبراهيم الإبياري ٨٩/٢٥ – ط/ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٠م.

(٣) بالطول والعرض ص١١٢

غفلة من الزمان فتضيع سويسرا الجميلة بسبب رومانسية أبنائها، وطيبة قلبهم، وقلة عقلهم وغفلتهم، وقد فرطوا في ترابهم الوطني، وشرفهم الذي يسال على جوانبه الدم"[١]، العبارة الأخيرة مأخوذة من قول المتنبي:

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى ∴ حتى يراق على جوانبه الدم[٢]

من خلال التناص يسخر الكاتب من أولئك الذين يفرطون في تراب وطنهم، وأنهم بمنزلة من يفرطون في عرضهم، وأن العزة والكرامة تحتم على الإنسان أن يموت دون وطنه كما يموت دون عرضه، فالوطن والعرض صنوان لا يفترقان، وقد استبدل الكاتب كلمة (يسال) بكلمة (يراق) فالسيلان أكثر دلالة من مجرد إراقة الدم، وهو أنسب لحال التفريط في الأرض والعرض لدى عاصم حنفي، والإراقة مناسبة للتفريط في العرض الوارد في بيت المتنبي.

٤- تختلف طريقة التعارف بين الشاب والفتاة عند إرادة الزواج من مجتمع لمجتمع، وقد وجد الكاتب بغيته في فتاة أيرلندية؛ إذ يقول:"وقد تعرفت في الهايد بارك على بنت أيرلندية رقيقة، ولعبت الرومانسية دورها في هذا التعارف الذي تم بأسلوب عصري، نظرة، فابتسامة ... ففاصل ردح أيرلندي فعزومة على الغلاء بالشيء الفلاني"[٣].

فالتدرج الطبيعي لدينا: "نظرة، فابتسامة، فكلام، فموعد، فلقاء ..." لكن الكاتب استبدلها من خلال التناص بالطريقة الأيرلندية، متمثلة في الغناء المصحوب بالغداء، وإن كان قد غلبت عليه اللهجة المحلية (فاصل ردح – عزومة بالشيء الفلاني) وهذا الكلام مقتطع من نص آحمد شوقي:

نظرة، فابتسامة، فسلام ∴ فكلام، فموعد، فلقاء[٤]

وتختلف بنات العصر الحديث في مطالبهنّ لإبداء الرضا عن راغبي الزواج منهنّ على حد قول عاصم حنفي وهو يتخيّل حدوث قصة حب عصرية، فيقول:

(١) بالطول والعرض ص١١٢.
(٢) ديوان المتنبي ١٢٥/٤.
(٣) بالطول والعرض ص١٦٠.
(٤) ديوان أحمد شوقي – تح/ د. أحمد محمد الموفي ٩١/٢ – ط/ نهضر مصر.

"والبنت الرقيقة في الشغل تشبه (فاتن حمامة) في دعاء الكروان، وكما يحدث في قصص الحب الشاعرية، اشتعلت الشرارة بسرعة، نظرة، فتنهيدة، فابتسامة، فموعد، فعزومة، فتاكسي بالنفر إلى المطعم الفخيم"(١).

٥- عدم تناسب بعض أفعال المغامرات العاطفية كالرقص مع دخول الإنسان في مرحلة الشيب، يقول عاصم حنفي:

"ولا يصح أن نرقص كالمسيو عمرو دياب؛ لأننا قد بلغنا من العمر أرذله، وأتبعت كلامي بحكمة اليوم التي أومن بها كثيرًا:

ليت الشباب يعود يومًا ∴ فأحدثه بما فعل المشيب"(٢)

الكاتب متأثر بقول أبي العتاهية:

فيا ليت الشباب يعود يومًا ∴ فأخبره بما فعل المشيب(٣)

وإن كان استبدل (فأحدثه) بـ(فأخبره)، والمحادثة أمعن في بيان حال ما آل إليه الشباب عند حلول الشيب من مجرد الإخبار؛ إذ المحادثة تقتضي المحاورة التي يستلزم كل حوار فيها إظهار غرض من أغراضها.

٦- الأحداث الجسام تستقطب اهتمامات الناس، وتلفت أنظارهم، كما حدث مع هذا المشهد الغريب الذي ابتدأه الكاتب بقوله: "وقف الخلق ينظرون جميعًا كيف يقطع جارنا الشاب الرياضي هدومه في البلكونة ويغني ظلموه، ويتحاور مع الذات بشكل عنيف، بعد أن تدهورت الحالة، فخرج من مرحلة الصمود والاكتئاب المزمنة إلى مرحلة المواجهة الشاملة والشاقة مع النفس"(٤).

يتناص الكاتب مع حافظ إبراهيم في بيته:

وقف الخلق ينظرون جميعًا ∴ كيف أبني قواعد المجد وحدي(٥)

استدعى الكاتب مشهد البناء لمشهد الهدم، فعند شوقي نظر الخلق إلى من يبني أمة، وعند عاصم حنفي نظرهم إلى من يهدم ذاته، فالنظرة الأولى نظرة

(١) حواديت زوجية ص١٠٦.
(٢) السابق ص١٠٧.
(٣) ديوان أبي العتاهية – ص٤٦، نشر/ دار بيروت – ط/ ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م.
(٤) حواديث زوجية ص١٦٧.
(٥) ديوان حافظ إبراهيم ٨٩/٢.

إعجاب وإكبار، والثانية نظرة استعطاف وإشفاق، وإذا كان شوقي يطلب من الناس ضمنًا أن يثمنوا دوره البناء، وجهده الفعّال؛ لأنه يقوم بدور إيجابي، فإن عاصم حنفي يرجو من الناس التنبه إلى تلك الظاهرة المقلقة السلبية التي آل إليها الشباب، بعدما ضاقت عليهم أنفسهم، وسدت أمامهم الأبواب، فخرجوا عن وعيهم، وفعلوا تصرفات غير مسئولة لا يفعلها العقلاء، وهذا نذير خطر.

ب-المثل:

المثل قول موجز سائر على ألسنة الناس، يختزل كثيرًا من ثقافات الشعوب، "وتعد الأمثال الشعبية من أبرز عناصر هذه الثقافة؛ لأنها تمثل حجر الزاوية في معرفة الشعوب، ولا شك أن الدراسة الحقيقية للمجتمع لا تبدأ إلا من دراسة ما يمكن أن نسميه الفلسفة الثائرة، أو اليومية في العلاقات الاجتماعية والإنسانية، أو تلك الأفكار الجارية في التعامل اليومي، وهذه الأمثال هي الصورة البكر، أو العذراء، لطبيعة الناس وتصوراتهم ومعتقداتهم وتناقضاتهم، ودليل صادق على طبيعة الشخصية المصرية، بسلبياتها وإيجابياتها"(١).

وقد وظف الكاتب الأمثال العامية المصرية في سخريته من الواقع بما فيه من تناقضات ومفارقات وسلبيات، وعكس استدعاؤه لها عن ثقافة شعبية أصيلة، ومن أبرز تلك الأمثال:

١- رجعت ريمة لعادتها القديمة:

استأنس الكاتب بهذا المثل في سياق تعزيز فكرة أن الطبع يغلب التطبع، حين حاولت ملكة أسبانيا تحسين أحوال الغجر ليصبحوا آدميين يحترمون إنسانيتهم، ويعيشون حياة كريمة، وقد غلبت عليهم شقوتهم، فباعوا ما وهب لهم، وأبوا إلا أن يعيشوا حياة الصعاليك على نحو ما عبّر الكاتب عنهم ساخرًا بقوله: "وهكذا .. عادت ريمة لعادتها القديمة .. وعاد الغجر إلى سيرتهم الأولى .. فيما يُعد نكبة حقيقية لمشروع الملكة صوفيا .. لتحسين أحوال الغجر، والقضاء على تجارة

(١) موسوعة الأمثال الشعبية المصرية والتعبيرات السائرة – د/ إبراهيم أحمد شعلان – ١٠/١ – ط/ دار الآفاق العربية – الأولى ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م.

المخدرات"[١].

٢- الغاوي ينقط بطاقيته:

يعكس الكاتب من خلال هذه المثل تحسن الأوضاع الصحية في أسبانيا، وحرص المواطن على نظافته الشخصية، وفيه سخرية ضمنية من بعض سلوكيات المصريين، يقول الكاتب عن تعامل الحكومة الأسبانية مع المرافق العامة:

"والحكومة هنا ليست مسئولة عن تطهير مياه حمامات السباحة، وهي المياه التي تأتي أصلًا من المجاري العمومية، وهي تكتفي بضخ المياه في الحنفيات، وعلى كل صاحب فيلا أن يقوم بنفسه وعلى حسابه الخاص بعلميات التطهير والتعقيم، والغاوي ينقّط بطاقيته، كما تقول الفيسلوفة صباح"[٢].

٣- العين بصيرة واليد قصيرة:

ينقل الكاتب شيئًا عن الحياة الأوربية، التي تجعل المواطن في رغد من العيش، ساخرًا من تردّي الأوضاع وتدنّي الأحوال المعيشية في مصر، وغلبة بعض التقاليد الاجتماعية التي تؤدي إلى الفقر والعوز، يقول الكاتب عن المواطن الأوربي متهكّمًا من المواطن المصري:

"إن الأوربي وقد علّم ابنته وربّاها حتى سن العشرين، من حقه أن يستمتع بحياته التي ليست وقفًا على الأولاد، ومن حقه أن يلعب جولف، وأن يسافر حول العالم، وأن يتفسح، وأن يفرفش، وأن ينبسط، ولا يوجد عندهم الأب المشغول بجهاز البنت وشراء شقة للولد، والذي هو مهموم بطريقة العرض المستمر؛ لأن العين بصيرة واليد ليست كذلك، ولهذا يمد يديه ليسرف أو يختلس أو يعمل أوفرتايم، أو يموت بالسكتة القلبية"[٣].

وقد تصرف الكاتب في المثل؛ إذ لم يقصر اليد على مجرد قصرها عن إدراك ما تصبو إليه؛ بل هي لا تبصر هذا الشيء ابتداءً، فضلًا عن أن تطمع في الحصول عليه.

(١) بالطول والعرض ص٣٥.

(٢) بالطول والعرض ص٤٢.

(٣) السابق ص٤٦، ٤٧.

٤- قليل البخت يلاقي العظم في الكرشة:

اقتضت ظروف سفر الكاتب في سويسرا إلى أن يخوض مظاهرات معهم؛ ظنًّا منه أنها تدعو إلى تحقيق الحرية للأجانب والملونين، فإذا بها تدعو إلى مطاردتهم ومحاولة التخلص منهم، والذي أوقعه في هذا هو خطأ في الترجمة من الفرنسية إلى العربية، ويسخر من سوء حظه ويندبه قائلًا:

"ولأن قليل البخت يلاقي العظم في الكرشة، فإن معدوم البخت يلاقي الجماعات العنصرية في سويسرا، فسويسرا التي لم تعرف الجماعات العنصرية طوال تاريخها .. تعرفت عليها هذا العام فقط .. عندما تشرّفت بزيارتها، فإذا بالبلاد المستقرة الآمنة تشتعل بالمظاهرات ضد العرب والملونين"(١).

٥- أحسن من السمنة على العسل، ليس لها في الطور ولا في الطحين:

يستدعي الكاتب المثل الأول لبيان حسن علاقة سويسرا مع دول الجوار، والمثل الثاني لقلة خبرة النظام السويسري الذي يقتضي توطيد أواصر المودّة مع الدول المجاورة؛ لتفيد من خيراتها وثرواتها، فيقول:

"ثم إن العلاقات مع الجيران في فرنسا وإيطاليا والنمسا أحسن من السمن على العسل، ولا ننسى أن سويسرا محايدة أصلًا، ليس لها في الطور ولا في الطحين، ومن العبط والسذاجة والسفة الاحتفاظ بجيش يأكل ويشرب ويتسلح ويتدرب ويناور على حساب دافعي الضرائب"(٢).

٦- أقول طور تقول احلبوه:

ذكر الكاتب المثل في سياق اختلافه مع صاحبته الأوربية، التي تأتي عادات مجتمعها متضادة مع عادات المجتمع الشرقي، ويصبح عدم توافق الأفكار مثار سخرية الكاتب؛ إذ يقول: "وارتفع الصراخ بيني وبين صاحبتي كدليل على الحماس في المناقشة، أقول: لا، تقوم: نعم، أقول: يمين، تقول: شمال، أقول: طور، تقول: احلبوه"(٣).

(١) بالطول والعرض ص٨٦.
(٢) السابق ص١١٢.
(٣) السابق ص١٦٤.

٧-الباب يفوت جمل:

ضاق الكاتب ذرعًا بأسلوب الديمقراطية الذي اتبعه مع زوجته، والتي أساءت استغلاله، فأخذت تناقشه في كل شيء، فما كان منه إلا أن هددها بالضرب؛ بل بالطرد، وهو إذ يعلن استغناءه عنها يظهر عدم تمسكه بها، فيزيد على المثل ما يدل على نفاذ صبره فيقول:

"وجهت إنذارًا واضحًا صريحًا بأنني سألقّنها كل يوم (علقة ساخنة) إذا ما عادت للعبة الديمقراطية مرة أخرى، وإذا حاولت المشاغبة واللف والدوران فالباب "يفوت جملاً" و"فيلا بزلومة""[١].

٧- اذبح لها القطة:

يلوم الكاتب نفسه على ما آل إليه حاله من عصيان زوجه له وتمردها عليه، ويندم على تلطفه معها حيث استضعفته وأذلته؛ إذ يقول: "كان من الواجب ومنذ البداية أن أظهر لها الوجه الحمش، وان أذبح لها القطة كما يليق بالرجل الشرقي المحترم، إذا ابتسمت في وجهي عبست في وجهها، إذا تكلمت معي قاطعتها وسفّهت كلامها، وإذا تذمرت أو تبرّمت فالباب يفوّت جمل"[٢].

٨- بيدي لا بيد عمرو:

يعلن الزوج خضوعه التام واستسلامه الكامل لرغبات زوجه المصون، ساخرًا من هذا التسلط النسوي، الذي يؤثر الزوج بسببه السلامة، فيقول: "ولأنني زوج يمشي بالريموت كنترول، ولأن أزرار التحكم والتوجيه في يد ابنتي الصغرى، التي لا أعصي لها أمرًا، ولأنني عاقل جدًا، لا أود إثارة المشاكل ودعوة الجيران والأقارب للتدخل لحلها، ولأنني لا أهوى الفضائح، وأقدّس الحياة الزوجية، فقد تنازلت، وبيدي لا بيد عمرو، وقلت لنفسي: أكلة تفوت ولا حد يموت"[٣].

وكانت ابنته قد طلبت منه هامبروجر، فسلطت أمها على أبيها، وما كان منه إلا الاستسلام خروجًا بأقل الخسائر، وفي موطن آخر يتصرف الكاتب في المثل

(١) حواديث زوجية ساخنة ص١٩.
(٢) السابق ص٢٣.
(٣) السابق ص٣٨.

بالزيادة عليه، فيقول: "تقف مدام عشماوي في وضع الاستعداد لتنفيذ حكم الإعدام بيدها أحيانًا، وأحيانًا أخرى بيد عمرو أو زيد أو عبيد"(١).

٩- العين بالعين والبادي أظلم:

"في رحلة إلى الإسكندرية فرضتها زوجة الكاتب عليه رغمًا عنه تعرضا لهطول أمطار غزيرة ألجأت الكاتب إلى الخروج عن وقاره؛ مما أثار سخرية الآخرين منه، وقد أخذ عدته لمواجهة هذا السيل المنهمر من نظرات السخرية، وكأنه في مواجهة عدو يتربص به، وهو يحاول الانتصار عليه، فيقول:

"بصراحة كنا فرجة لأهالي الإسكندرية، الذين تجمعوا حولنا متصورين أننا نقدم نمرة مبتكرة من ألعاب السيرك القومي، وأننا أعضاء في عائلة (لوريل وهاردي) الفنية المشهورة، وتعليقاتهم الساخرة تصب فوق رؤوسنا على الأرصفة التي وقفوا يحتمون بها، مما زاد من إصرار زوجتي على ضرورة الذهاب للفندق بسرعة لاستعارة شمسية مطر، ثم نعود من جديد لكي نواجه الإخوة الساخرين، والعين بالعين، والبادي أظلم"(٢).

١٠-عند الامتحان يكرم المرء أو يهان:

كان امتحان الابنة امتحانًا للأب من قبل أمها؛ لأنه منوط به المذاكرة والشرح لها، فإذا أخفقت وقع اللوم على الزوج الذي ترتعش أطرافه وترتعد فرائصه يوم الامتحان، يقول: "وبالأمس فقط صرخت زوجتي بالصوت السوبرانو بعد أن اكتشفت أن البنت الكبيرة لا تعرف عربي، وضعيفة في الحساب، ومحتاجة درس خصوصي في العلوم، وكورس مكثف في اللغات، والامتحان على الأبواب، وفي الامتحان يكرم الزوج أو يهان"(٣).

(١) السابق ص١٣٠.

(٢) حواديت زوجية ساخنة ص٥١.

(٣) السابق ص٦٦.

رابعًا: الصورة:

ترتبط السخرية بالتصوير الذي يستدعي الضحك والغرابة؛ لأنه يعتمد على الخيال والمبالغة، ومفاجأة القارئ بما لا يمكن توقعه، يقول الإمام عبد القاهر الجرجاني مبيّنًا قيمة التصوير الفنّية:

"ومعلوم أن سبيل الكلام سبيل التصوير والصياغة، وأن سبيل المعنى الذي يعبر عنه سبيل الشيء الذي يقع التصوير والصوغ فيه كالفضة والذهب يصاغ منهما خاتم أو سوار"(١).

ويتخذ عاصم حنفي التشبيه والمجاز سبيلين فنّيين لتحقيق السخرية:

أ–التشبيه:

١– الرجل الغجري مثل أسد الغابة:

يعطي الكاتب تصوّرًا عن طبيعة الغجر الإسبانيين الذين يعيشون حياة الصعاليك، فهم شديدو البأس، مرهوبو الجانب، تُخشى صولتهم، ولا يؤمن مكرهم، وذلك من خلال تشبيه الرجل الغجري بأسد الغابة، وتظهر الصورة الحقيقية للرجل الغجري من خلال تلك الأوصاف:"يمارس فضيلة الكسل اللذيذ، لا يحب العمل، ويفضل النوم حتى العصر؛ بينما تقوم المدام بمهام العمل طوال اليوم، في التسول وضرب الودع والنشل وأعمال أخرى"(٢).

ويعكس التصوير سخرية جعل الرذيلة (الكسل) فضيلة مصحوبة بلذة، وما يتبع ذلك من الدعة والنوم في وضح النهار، ومعاونة المرأة زوجها في القيام على شئون البيت، واتخاذ طرق الكسب غير المشروع الذي سخر منه الكاتب، بجعله من مهام العمل، كما يعكس التصوير انقلاب الموازين حين يكون السفيه سيد القوم، وصاحب اليد الطولى.

(١) دلائل الإعجاز – تح/ محمود محمود شاكر – ص٢٥٤، ط/ مطبعة المدني – الثانية – القاهرة ١٩٨٩م.

(٢) بالطول والعرض ص٣٣.

٢-تركتني وحيدًا مكبوسًا كالغراب النوحي:

يصور الكاتب نفسه وهو في سويسرا بالغراب النوحي، وهو مصدر شؤم لمن رآه أو سمعه، فضلًا عن سواد لونه، وكأنه اجتمعت فيه صفات القبح، فكان ذلك حينما رأت الكاتب حسناء سويسرية فرقت لحاله، وندبت حظها الذي أوقعها في هذا البائس، الذي أخذ ينوح ساخرًا من رثاثة هيئته، وقلة حيلته، واجتماع مصادر البؤس عليه، يقول: "ومضت وهي تلعن حظها النحس الذي أوقعها في شحاذ أبكم، وتركتني وحيدًا مكبوسًا كالغراب النوحي، يغني ظلموه على الأطلال"(١).

٣-سمعة العربي في الزواج كالماركة المسجلة:

جعل الكاتب الجنس العربي فريد دهره لا شبيه له ولا مثيل في علاقته الزوجية، وذلك لازدواج شخصيته التي تجمع بين الرقة قبل الزواج والشدة بعده، أو الشاعرية في بلاد الفرنجة والغلظة في وطنه الأساسي، فيسود الاعتقاد لديه أن كمال الرجولة وتحقيق البعولة في إظهار الشر وكيل الشتائم وذبح القطة، فكما أن الماركة المسجلة لا تغيير فيها ولا تبديل، فإن شخصية العربي تتأبى على المرونة وتغيير الطباع، "ومن المؤكد أن أخانا العربي -ولا أقول كلهم- يضع قناعًا قشرة حضارية تخفي ملامحه الحقيقية قبل الزواج -أو قل- إنه يعاني من الشيزوفرينيا وازدواج الشخصية، فيتصرف قبل الزواج في بلاد الخواجات برقة وشاعرية وعصرية، أما في بلاده فتظهر شخصية أخرى للشرير المستبد، المستوعب جيدًا لقاموس الشتائم والنعوت التي تبدأ من الأم الأولى، وتنتهي إلى الجد السابع، ولهذا تفشل العديد من الزيجات، وتساعد الصحافة والإعلام في تضخيم الأمور، وبالتالي أصبحت سمعة العربي في الزواج كالماركة المسجلة ممنوع الاقتراب والتصوير"(٢).

٤-مصلح الطرقات كمطبب الجراحات:

يسترعي مشهد العامل القائم بحفر الطرق وكشط حوافها ثم رصفها، نظر الكاتب إبان رحلته في جينيف، فلا يجد لتلك الصورة الرائعة إلا مشهد الطبيب الجراح مثلًا لها، فتحديد مكان الحفر، ورسمه بالطباشير يشبه تعرف الطبيب على الداء

(١) بالطول والعرض ص٧١.

(٢) السابق ص٧٣.

وتشخيصه، ثم تأتي مرحلة كشف حواف الحفرة في مقابلة استئصال الطبيب مكامن الداء وإزالة الأورام، وتختم مرحلة الإصلاح بالرصف وإعادة الطريق إلى حالته الأولى، بما يشبه إنهاء الطبيب عمليته الجراحية، وإغلاقه بطن المريض؛ بل يقوم بعملية تجميل ليعود الجسد إلى ما كان عليه قبل الجراحة من قوة وجمال.

يقول الكاتب: "وقد وقفت ذات ليلة أتفرّج على عملية حفر ثم إعادة رصف أحد الشوارع بواسطة خمسة عمال فقط لا غير، أحدهم يحدد بطباشير ومسطرة، والله مسطرة، مكان الحفر بالضبط، والآخر بماكينة صغيرة يكشط حواف الحفر المقترحة مكان الطباشير، وبماكينة أخرى يحفر الثالث المساحة المشقوقة والمحدد بعناية، وبعد أن قاموا بالإصلاحات المطلوبة بدأت عمليات الرصف بالدقة نفسها، عملية سريعة استغرقت ساعتين، وقد شعرت بالغيرة والحسد، وحضرة العامل كما الطبيب الجراح يشق بطن الشارع، ثم يعيده لأصله من جديد، لا زبالة، ولا أكوام تراب، ولا أحجار متخلفة تسد الطريق، وقد شعرت بالغيظ لأن العامل هناك يتعامل مع المسألة بدقة وحساب وكأنه يرصف شقته الخاصة"(١).

ويسخر الكاتب من سوء تعامل العامل المصري مع الطريق، وغياب الإتقان بسبب السرعة، وعدم المتابعة والرقابة، ويشيد بالعامل الأوربي الذي أتقن عمله على الرغم من أنه لا يدين بالإسلام الذي يدعو إلى الإتقان، فيقول: "ووجدتني أهتف وحضرة العامل الجراح يغسل مكان العملية الجراحية بالماء والصابون ليعود الشارع كما كان بالضبط، وجدتني أهتف كما الزعيم مصطفى كامل: لو لم أكن مصريًا ... ولم أكمل"(٢).

٥-استسلام الزوج لامرأته كاستسلام أسير الحرب للقائد:

صور الكاتب سيطرة زوجه عليه وإرغامها إياه على الخضوع لها، بأسير الحرب الذي لا يملك إلا أن يذل لأمر من وقع في قبضته، ولا أدل على ضعف موقف الزوج وقلة حيلته من هذا الصمت المطبق عليه، في مقابل ثرثرة زوجه الفارغة، التي لا تتوقف عن الكلام كالزمبلك، أو القطار السريع، يقول:

(١) بالطول والعرض ص١٤١.

(٢) السابق ص١٤١.

"وما أن تحرك الأوتوبيس، فكأنها إشارة البدء، حتى راحت زوجتي تتكلم وتتكلم وتحكي مائة حكاية، مائتي حكاية لا تحصى ولا تعد، أكلت وشربت، غفوت وصحيت، وزوجتي لا تزال تتكلم، وأنا قعيد، كأنني بجوارها ساكن، وكأنني أسير حرب، صامت كأنني الدكتور عاطف صدقي رئيس الوزراء السابق، وهي تحكي وتقول، زمبلك مشحون يدور بلا توقف، أو هي حنفية كلام عطلانة تصب دون انقطاع، أو قطار كلام سريع لا يتوقف في المحطات"(١).

٦-العلاقة بين الزوجين كالعلاقة بين القط والفأر:

حين يكون التوافق بين الزوجين تصبح العلاقة بينهما تكاملية، وإذا كان بينهما تنافر فإن كلًا منهما يتربص بالآخر، ويكيد له، في محاولة لإثبات الذات وتحقيق الانتصار على الآخر، وكأنها حرب تشبه الحرب القائمة بين القط والفأر، والتي تعتمد على المناورة والمراوغة، فالصراع بينهما حول تملك شقة الزوجية، والاستحواذ على الأبناء عند الطلاق، يقول الكاتب:

"في ظل أزمة المساكن تصبح العلاقة الزوجية أشبه بالعلاقة بين الأخ "توم" والأخت "جيري"، أو القط والفأر، ويصبح أسلوب المطاردات والمقالب هو الأسلوب السائد بين الزوجين في دنيا الواقع، كما هو الحال في عالم "ميكي ماوس" ويستطيع الزوج أن يقول للسيدة زوجته: الباب يفوت جمل يا حبيبتي، ويستولي على الشقة وحده، وتصبح حبيبة القلب فجأة في عرض الطريق، خاصة أنها لم تنجب أطفالًا، ولكن لو كانت الزوجة أمًّا لأطفال يحتاجون للرعاية والتربية والتعليم تحتفظ وحدها بالشقة ويتوكل الأخ "توم" إلى بلاد الله والدنيا الواسعة؛ لينضم بين يوم وليلة إلى قبيلة "عشانا عليك يا رب" وحسنة قليلة تمنع بلاوي كثيرة، ولهذا تحتفظ زوجتي الأروبة باثنين من الورثة الشرعيين، يعني اثنين من بناتي، كورقة مناسبة للضغط والمفاوضة في حالة حدوث خلاف عائلي لا قدّر الله"(٢).

٧-عمل المرأة الشاق يجعلها شبيهة بالرجل:

حين تمارس المرأة عملًا يناسب أنوثتها لا يؤثر ذلك على حياتها الاجتماعية،

(١) حواديت زوجية ساخنة ص ٦٣

(٢) السابق ص٦٠، ٦١.

ولكنها حين تؤدي أعمالًا شاقة يقوم بها الرجال، أو حين تؤدي أعمالًا كثيرة وتتحمل أعباءً جمّة، فإن ذلك يقلل من طبيعتها الأنثوية؛ بل ربما تصبح امرأة رجلة، تناطح زوجها وتعامله ندًا بند، وهذا من أثر تخليها عن وظيفتها التي خلقت من أجلها، وهي رعاية البيت والقيام بشئونه، يقول الكاتب:

"وفي أوروبا، وفي دراسة حديثة طازة، ثبت أن العمل اليومي الذي تمارسه المرأة خارج بيتها يؤثر كثيرًا على سلوكها مع زوجها وأولادها خارج البيت، وعندما تعمل المرأة في الصباح كسائق ترام أو سائق وابور زلط، تتصرف في المنزل في المساء كواحد صاحبك يجلس معك على القهوة، وعندما تصل أختنا حواء إلى المناجم ورصف الطرق تكاد تصبح امرأة بشنب وذقن أيضًا"(١).

٨–قفص الزوجية كالسجن، إصلاح وتهذيب وتأديب:

حين يتزوج الإنسان يصبح مقيّدًا بعد حريّة، كالعصفور في قفصه، لا يسمح له بالانطلاق إلا إذا أذن له، أما تصوير هذا القفص بالسجن فإنما يكون حين تحكم الزوجة قبضتها على الزوج، وتكبله بالقيود العائلية، ولا يقتصر الزواج على كونه حبسًا وسجنًا للزوج، وحرمانًا له من ممارسة كامل حريته التي كان ينعم بها قبل الزواج؛ بل يجعله الكاتب وسيلة إصلاح وتهذيب وتأديب،إذ يقول:

"والملجأ الجديد ليس لأطفال الشوارع أو الزنوج المضطهدين، أو المشردين المفلسين، أو للشيوخ والعجزة، وإنما هو للأزواج المحترمين، الذين يوقعهم حظهم الأسود الغطيس في أيدي الزوجات المفتريات في فخ الزوجية السعيد، وشرط الالتحاق بالملجأ أو الإقامة المبدئية فيه، أن يكون الزوج أصيب أو تعرض لعاهة مستديمة على يد الزوجة الفاضلة، فيتولى الملجأ علاجه جسديًا ونفسيًا، حتى يصبح الزوج المعطوب قادرًا على تحمل علقة جديدة، فيطلقون سراحه ليعود إلى زوجته لتتولى تأديبه وتهذيبه من جديد على اعتبار أن قفص الزوجية كالسجن، إصلاح وتأديب وتهذيب"(٢).

(١) حواديت زوجية ساخنة ص١١٩.

(٢) السابق ص١٣٦، ١٣٧.

ب-المجاز:

١-أنفي يشم المؤامرات:

تقوم حاسة الشم مقام حاسة البصر، بما يسمى بتراسل الحواس، وهي صورة رمزية تكثف سبل الإدراك، واستطاع الكاتب أن يجعل المؤامرات، وهي أمر معقول، تدرك بحاسة الشم على سبيل التجسيد الذي جعل من المؤمارات التي تحاك له كيانًا ماديًّا، ومن أنفه مغناطيسًا لانجذاب الأشياء الممغنطة، وإنما يجذب المؤامرات، وربما تفقد أنفه الحساسية، فيغرر به ويقع فيما كان يتحاشاه، يقول عاصم حنفي مصورًا هذا المشهد: "وأدركت أنني أواجه مؤامرة من النوع الثقيل، وميزتي الحقيقة أن أنفي يشم المؤامرات على بعد ٢٠٠ ميل، وما أن تقترب المؤامرة من جاذبيتي المغناطيسية، فتصبح على بعد مترين فقط حتى يفقد أنفي حساسيته وأقع فيها مثل الشاطر"(١).

٢-عجوزات شمطاوات أكل الزمان عليهنّ وشرب، وأخذ تعسيلة ونام:

يعرض الكاتب للزواج في سويسرا وهو قائم على المصالح لا على التكافؤ، ومن ثم قد يتزوج الإنسان عجوزًا بلغت من العمر أرذله، شمطاء بدت على محياها آثار الشيخوخة، ويكأنها لما بلغت من الكبر عتيًّا قد غدت نهبًا لزمن حلّت فيه روح إنسان يريد أن يقضي وطره من احتياجات الطعام والشراب والنوم في سبات عميق، وهذا على سبيل التشخيص، فيقول: "ومعظم الزوجات عن طريق تلك المكاتب عجوزات شمطاوات، أكل الزمان عليهنّ وشرب، وأخذ تعسيلة ونام، وهن لا يمانعن من الزواج من حضرتك، بشرط أن تدفع نسبة محترمة من مرتبك الأسبوعي أو الشهري لأنك بالزواج سوف تتمكن من العمل والإقامة"(٢).

٣- أحب اللحمة عن بعد، أغازلها وأحاورها وأبعد عنها من باب الدلع والدلال:

يعكس هذا التصوير حالة البؤس التي عاشها الكاتب؛ إذ كانت اللحمة بعيدة المنال كغانية تُحَب من غير أن يطمع المحب في نوالها، وحظه منها الغزل الذي يمني به نفسه العاشقة تارة، والمحاورة التي يجد فيها سلوانا له تارة أخرى، والبعد عنها كي يشتاق إليها تارة ثالثة، ولقلة ذات اليد فإنه يجعل التعامل مع اللحوم من

(١) بالطول والعرض ص١٥.

(٢) السابق ص٧١.

قبيل الرومانسية الشاعرية التي تقتضي الرقّة واللطف؛ لأنّ المحبوب بعيد المنال، فلا يستطيع القرب منه، يقول: "أقرّ وأعترف أن محمود السعدني صاحب فضل، وليس صحيحًا ما يشاع من أنني تعرفت عنده على اللحمة لأول مرة، وقبلها كنت من أتباع مذهب السيخ الهندي الذين يأكلون اللحم في المناسبات الدينية والأعياد الوطنية، ويقاطعونه باقي أيام السنة، والصحيح أنني قبل معرفتي بالسعدني كنت أؤمن بالأسلوب الرومانتيكي الشاعري في الطعام، وأمارس الحكمة الخالدة، ما قل ودل، وكنت أحب اللحمة عن بعد، أغازلها وأحاورها وأبعد عنها من باب الدلع والدلال، كنت أمر أمام الجزار كل يوم وأغني: مرّيت على الحبايب، وألقيت الشعر العفيف وقصائد الغزل الحراقة"(١).

٤-غزو قلوب بنات بلاد الخواجات:

سحرت بنات الغرب لب الكاتب، وأخذن بمجامع فؤاده، ولديه من المؤهلات ما أمكنه أن يستقطب قلوب كثير منهنّ، وقد أصبحت قلوبهن مستعمرات تجذب إليهن أنظار الطامعين من الغزاة، وهو غزو عاطفي رومانسي، استطاع الكاتب من خلاله أن يشق لنفسه أرضًا وسط تلك الواحات الخضراء، وأن تستسلم له تلك القلوب استسلام من لا يملك أسلحة المواجهة للمحتل، يقول عاصم حنفي: "وما دمت قد زرت بلاد الخواجات، فلا بد أن أناسبهم، وأن أغزو قلوب بناتهم، وأشعرهنّ باللوعة والوجد، وأن أعيد إليهنّ بالصوت والصورة قصص الغرام الشهيرة، وسحر ألف ليلة وليلة"(٢).

٥- اشتعال حرب الهامبروجر بين كتائب الويمبي وميليشيات الكنتاكي وجيوش الماكدونالد:

يسخر الكاتب من تهافت الناس على تلك الوجبات الجاهزة ذات المسميات الأجنبية، والتي يقبل عليها الشباب، غير ناظرين إلى كنهها وتكلفتها، وقد روج لها الإعلام بنجاح منقطع النظير، ويصور الكاتب هذا المشهد الحربي بين كتائب وميليشيات وجنود في ساحة المأكولات والمطعومات في محاولة من كل منها لإثبات أنها الأجود والأطعم والأشهى والألذ، وكأنها معركة وملحمة ينتقل صداها إلى

(١) بالطول والعرض ص١٣٩.

(٢) السابق ص٦٩.

الأمعاء، التي تتصارع من أجل التهام أي من تلك الطعوم، يقول الكاتب مصوّرًا تلك الحرب الضروس الطاحنة: "اشتعلت حرب الهامبورجر بين كتائب الويمبي وميليشيات الكنتاكي وجيوش الماكدونالد، فجلست أتفرج وأتابع المعركة كمراقب محايد، لا تهمه النتائج من قريب أو بعيد، وقد أسهم التليفزيون في نقل تفاصيل العملية الحربية، فراحت بياناته ومارشاته العسكرية تتولى يوميًا في صورة إعلانات مدفوعة الأجر لصالح الفصائل المتحاربة، كل فصيل يهاجم الآخر ويشكك في قدراته، ويؤكد أن النصر قادم لا محالة"(١).

ويعكس هذا التصوير سخرية الكاتب من المعروض الغربي الذي غزا الأسواق، حتى أعرض الناس عن المنتج المحلي الأحسن جودة والأقل تكلفة، ويرى أن تلك الأزمة تستوجب الإعراض عن الوافد الغربي، والتمسك بالمنتج المحلي، قائلًا لزوجه المصرة على شراء كل جديد في عالم المأكولات:"إن الأصول تقتضي منا التعاطف مع الكفتة في محنتها، وهي تشهد زوال مملكتها وغروب دولتها، خاصة أن الهامبورجر مسلح بأسلحة الدعاية والإعلان، وأنه لا يجوز لنا بيع أصولنا من أجل الوافد الغريب الذي سوف ينتحر قريبًا بإذن الله"(٢).

٦-مواجهة غول الامتحانات:

تعلن البيوت حالة الطوارئ المنزلية كلما اقترب موعد موسم الامتحانات التي تصورها الكاتب غولًا يخشى الناس سطوته، ويخافون بأسه، ولم لا، وهو الكاشف عن المستويات، والمميز بين المجتهد والخامل، وعليه يتوقف مستقبل الإنسان وتحديد اتجاهه وتوجيه مساره، والغول مخيف للصغار والكبار، ولا بد من أخذ الحيطة والحذر بالاستعداد لمواجهته بالحصون الممنعة، والأسلحة القوية، كما يتطلب الامتحان المذاكرة الدائبة، والتسلح بالثقافة، والتدرب على حل المعضلات من المسائل، ويتحدث الكاتب ساخرًا من تعامل زوجته مع الأولاد؛ إذ كانت الامتحانات على الأبواب، ولعله ينقم من طرف خفي على نظام التعليم المؤدي إلى هذا الإرهاب، فيقول: "وقررت زوجتي كقائد للمسيرة مواجهة الموقف بأسلوبها العملي، فرفعت درجة الاستعداد القصوى، وأعلنت حالة الطوارئ، فمنعت الزيارات

(١) حواديث زوجية ساخنة ص٣٦، ٣٧.

(٢) السابق ص٣٧.

المنزلية، وألغت الارتباطات العائلية، ونزعت فيشة الفيديو والتليفزيون، وتفرغت تمامًا لمواجهة غول الامتحانات"(١).

٧- الميزانية آيلة للسقوط:

تصور الكاتب ميزانية البيت بناءً، وكما يتعرض البناء للسقوط إذا مانقضت لبنائه، فكذا الراتب يتعرض للزوال إذا ما أصبح عرضة للأخذ منه في الضروريات والكماليات، وكما إذا تعرض البناء للسقوط أصبح ساكنوه في مهب الريح، فإن الميزانية إذا نهبت وهبرت ولم يدخل منها شيء للطوارئ تعرض عائل البيت وأسرته للفقر والعوز، ويسخر الكاتب من زوجه التي تصر على شراء الياميش يقول: "قلت لها إن الياميش بالذات يرفع نسبة الكوليسترول بالدم ويجهد الكلى، وخطير على الكبد، يتسبّب في تلف الشرايين الميترالي، فقالت: إن قليلًا منه يصلح المعدة، وأكدت لها أن شراء الياميش يدخل في بند المستحيلات، فالعين بصيرة واليد قصيرة جدًا، والمرتب محسوب بالمليم، والميزانية آيلة للسقوط، تحتاج لبركة دعاء الوالدين، وخبير متخصص لترميمها، وموازنة الإيرادات بالمصروفات"(٢).

وإذا كان الجسم يتعرض للخطر إذا أصيب بالهزال وفقر الدم، فإن الأمر بنفسه ينسحب على ميزانية البيت التي تتعرض للنفاد إذا ما أسيئ استغلالها؛ لا سيما في الترفيه، وقد ألحّت زوجة الكاتب عليه الإقلاع عن التدخين الذي ينخر في عظام ميزانية البيت، فضلًا عن الحفاظ على صحته، فيقول: "وترى زوجتي أننا بذلك نضرب عصفورين بحجر واحد، فأتوقف عن تزويد ثقب الأوزون من ناحية، ونوفر فلوس السجائر من ناحية أخرى، لتنضم إلى ميزانية البيت المصابة بالهزال وفقر الدم، وضعف العناصر المصرفية والفيتامينات"(٣).

٨-تعزف العواصف والبراكين لحنها المفضل:

في رحلة إلى مدينة الإسكندرية للكاتب وزوجه على غير إرادة منه، أعلنت السماء عن غضبها تضامنًا مع هذا الزوج المسكين، فالشمس محتجبة، والعواصف والبراكين تكشر عن أنيابها لتصدر أنغامًا تشكل سيمفونية رائعة، تلك المقطوعة

(١) حواديث زوجية ساخنة ص٦٦.
(٢) السابق ص٨٠.
(٣) السابق ص١٤٢.

الموسيقية التي تتردد ألحانها بين الهدوء والقوة، والانخفاض والارتفاع، من الريح العاصف التي تثير السحاب، فيلوح صوت الرعد وضوء البرق في السماء، ليتمخض عن مطر مدرار، وهذا كله استعداد لاستقبال الزوجين المتنافرين، يقول الكاتب مصورًا انطباع الظواهر الكونية عن مقدمهما المباغت: "ومن الواضح أن الإسكندرية لم تتحمل الهجمة العنترية المفاجئة؛ لأنه وبمجرد وصولنا إليها، وكأنها ساعة الصفر، فأعلنت الأحكام العرفية، وكشرت عن جوها، فإذا بالشمس تحتجب لأسباب كونية، وإذا بالعواصف والبراكين تعزف لحنها المفضل، وهات يا مطر"(١).

٩- **المعارك والخناقات توابل الزواج السعيد:**

لايتصور الكاتب الزواج طعامًا يصلحه قليل من الملح الذي إذا عدم لم يكن للطعام استساغة في ذوق الأكل، وإذا كثر معه الذوق ولم يقبل الجائع على التبلغ منه، وكذا الزواج إن خلا من المناوشات الخفيفة، والمعاكسات اللطيفة، كان مدعاة للملل والسأم، وإن كثرت المعارك والخناقات أصبحت الحياة حجيمًا لا يطاق، وغدت الأسرة معرّضة للتفكك والانهيار، والتفكير في الانفصال، ويرى الكاتب أن قليلًا من المناكفات فيه تجديد لدماء الحياة الزوجية؛ كي لا تصاب نفس الزوجين بالرتابة، والضجر من إلف العادة، فيقول: "وتطالب دراسة المعهد الياباني المشهور الأزواج بضرورة مناكفة الزوجة حتى لا تشعر بالأمان والاستقرار؛ لأن استقرارها وتأكدها من حب زوجها، يعني جمودها وترهلها، وأكدت أن قليلًا من ارتفاع ضغط الدم يصلح الحياة الزوجية، وبالياباني الفصيح نصحت الدراسة الأزواج بضرورة الحصول على إجازة من عش الزوجية مرة كل أسبوع، وشهر في كل سنة .. يهرب فيها الزوج من القفص، ليمارس حياته من جديد بهدوء وأمان بعيدًا عن مناكفات الزوجة ومناوشاتها؛ لأن الهروب المؤقت من سجن الزوجة كفيل باسترجاع الأمان النفسي، والهدوء الداخلي، والتوازن العاطفي، ثم إن أجازة الزوج مفيدة أيضًا للزوجة؛ لكي تجدد في أساليب الخناقات والمعارك المنزلية، حتى لا تكرر نفسها في كل مرة،"ذلك أن المعارك والخناقات هي توابل الزواج السعيد، فلو تكررت في كل مرة فإن الزوج سوف يزهق ويفضل "السوتيه" بعيدًا عن توابل زوجته ومعاركها المكررة"(٢).

(١) حواديت زوجية ساخنة ص٥٠.

(٢) السابق ص١٣٢.

الخاتمة

الحمد لله، وسلام على عباده الذين اصطفى، وبعد.

فمن منطلق فن السخرية الذي خاض عاصم حنفي غماره، يمكن استخلاص بعض النقاط التي تناولها البحث على النحو الآتي:

- ثمة علاقة بين الأدب الساخر، والهجاء، والتعريض، والتهكم، والطرائف، والنوادر.
- عرف الشعب المصري بالسخرية المغلفة بالنكات، والدعابات، والأمثال الشعبية.
- يعد الكاتب الصحفي عاصم حنفي من رواد الأدب الساخر في مصر حديثًا.
- استوى فن السخرية عند عاصم حنفي بسبب نشأته، وكثرة أسفاره الأوربية والمحلية.
- تعددت أنماط السخرية لدى عاصم حنفي بين النفس والمجتمع والزمان والمكان.
- استطاع عاصم حنفي تحقيق الأثر الاحتقاري والاستهزائي للسخرية داخل النص الأدبي.
- كان للزواج القدح المعلّى في الطرح الأدبي الساخر عند عاصم حنفي؛ إذ تطرّق إلى مناطق شائكة.
- وظف الكاتب من خلال سخريته عناصر متنوعة من الثقافة التاريخية والمعارف العلمية والفلسفية.
- اتكأ الكاتب في سخريته على المفارقة اللغوية القائمة على اللهجة المحلية والتلاعب اللفظي.
- حققت سخرية مفارقة الأحداث والمواقف عند الكاتب غايتها من إشراك المتلقي في إدراك التناقض والتفاوت بين الواقع والمأمول.
- وفق الكاتب في اختيار الشخصيات التي تصنع جسرًا من الفواصل بين المنشئ والمتلقّي.
- كشف سخرية مفارقة البيئة الزمانية والمكانية عند الكاتب عن اختلاف العادات والتقاليد والصراع بين الماضي والحاضر.
- كان التناص الأدبي الساخر مع الشعر والمثل عند الكاتب كاشفًا عن ثقافته التراثية، ومبرزًا لوعيه المدرك لهذا القاسم المشترك بين الأصالة والمعاصرة.
- جعل عاصم حنفي من التناص أداة فعالة للسخرية من بعض الظواهر الاجتماعية الفجة، كالأغاني الهابطة، والتقليد الأعمى للغرب.

- قصد عاصم حنفي إلى التشويق من خلال بعض العناوين كعتبات للنص الأدبي الساخر.
- كانت مفردات المعجم اللغوي الساخر عند عاصم حنفي في أغلبها من اللغة العربية الفصحى، مع قليل من الكلمات العامية، ونزر يسير من المصطلحات الأجنبية.
- اعتمد الكاتب على عناصر الترميز والتكثيف والتجسيد والتشخيص، منوّعًا بين الصور السمعية والحركية واللونية.
- لجأ الكاتب إلى الخيال الأدبي الساخر من خلال التشبيه والمجاز.
- قامت البنية السردية عند عاصم حنفي على الحبكة الهزلية المتنوعة بين المأساة وقلب الأدوار، وتداخل المواقف والأحداث.
- مثلت المفاجأة عند الكاتب النهاية المأساوية للصراع المعلن والخفي؛ بما يوسع من نطاق السخرية، ويعمل على امتداد آفاقها.
- وختامًا، لم تكن السخرية عند عاصم حنفي نكات مسطحة، وقفشات مسفة تروج للرداءة والتخلف والانحطاط، وإنما جاءت صرخة مكلوم، ونفثة مصدور، لم يجد سبيلًا لمواجهة الواقع المرير إلا أن يفيء إلى قرطاسه ليسطر فيه بمداده ما عساه أن يجد أذنًا واعية، وعينًا مبصرة لسلبيات دام إلفها، وطال عليها الأمد، في محاولة لتغيير المجتمع نحو الأفضل.

وإذا كان من توصية بين يدي هذا البحث، فهي:

١- الاهتمام بالأدب الساخر؛ لانطوائه على إشكاليات، وإضماره سلبيات تقض المضاجع، يغني فيها التلميح عن التصريح.

٢- التنقيب عن الأدب الساخر الهادف، وإبراز أعلامه الذين يتخذونه وسيلة للإصلاح في مواجهة أولئك الذين يفسدون الذوق بما يبثونه من محتويات هابطة، وثرثرات فارغة.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

المصادر والمراجع

١- الأدب الساخر – د/ نبيل راغب – ط/ الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٠م.
٢- أسلوب السخرية في القرآن الكريم – د/ عبد الحليم حفني – ط/ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٧م.
٣- أشكال التعبير في الأدب الشعبي – د/ نبيلة إبراهيم – ط/ دار غريب – الثالثة.
٤- بالطول والعرض – رحلة إلى بلاد الخواجات – عاصم حنفي – تقديم/ محمود السعدني – ط/ مكتبة الأسرة ١٩٩٩م – مهرجان القراءة للجميع.
٥- حصاد الهشيم – إبراهيم عبد القادر المازني – الأعمال الفكرية – مكتبة الأسرة ٢٠٠٣م – مهرجان القراءة للجميع.
٦- حواديت سفر – عاصم حنفي – تقديم/ محمود السعدني – سلسلة (الكتاب الذهبي) – روزاليوسف.
٧- دلائل الإعجاز – عبد القاهر الجرجاني – تح/ محمود محمد شاكر – ط/ مطبعة المدني – القاهرة – الثانية ١٩٨٩م.
٨- ديوان أبي الطيب المتبي – شرح أبي البقاء العكبري – تح/ مصطفى السقا إبراهيم الإبياري وعبد الحفيظ شلبي – ط/ الحلبي – الأخيرة ١٣٩١هـ – ١٩٧١م.
٩- ديوان أبي العتاهية – نشر/ دار بيروت – ط/ ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م.
١٠- ديوان حافظ إبراهيم – تح/ أحمد أمين وأحمد الزين وإبراهيم الإبياري – ط/ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٠م.
١١- ديوان شوقي – تح/ أحمد الحوفي – ط/ نهضة مصر.
١٢- السخرية في أدب الجاحظ – السيد عبد الحليم محمد حسين – ط/ الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع – الأولى – ١٣٩٧هـ – ١٩٨٨م.
١٣- السخرية في أدب المازني – د/ حامد عبده الهوال – سلسلة (دراسات أدبية) – ط/ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٢م.
١٤- السخرية في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري – د/ نعمان محمد أمين – ط/ دار التوفيقية – القاهرة – الأولى ١٩٧٨م.

١٥- السخرية في الشعر الأموي (رسالة دكتوراه) – إعداد/ سالم بن محمد بن سالم يامؤمن – إشراف/ د. عبد الله بن سليمان الجربوع – كلية الآداب – جامعة الملك سعود ١٤٣٦هـ.
١٦- السخرية في الشعر العباسي في القرنين الثاني والثالث الهجريين – (رسالة دكتوراه) إعداد/ عبد الخالق عبد الله عودة عيسى – إشراف/ د. حسين عطوان – كلية الدراسات العليا – الجامعة الأردنية ٢٠٠٣م.
١٧- الصاحب بن عباد الوزير والأديب العالم – د. بدوي طبانة – سلسلة (أعلام العرب) (٢٧) – ط/ المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر.
١٨- صندوق الدنيا – إبراهيم عبد القادر المازني – الأعمال الفكرية – ط/ الهيئة المصرية العامة للكتاب– مكتبة الأسرة ٢٠٠٢م – مهرجان القراءة للجميع.
١٩- الضحك – هنري برجسون – ترجمة/ سامي الدروبي وعبد الله عبد الدايم – ط/ الهيئة المصرية العامة للكتاب – مكتبة الأسرة ١٩٩٨ – مهرجان القراءة للجميع.
٢٠- عناقيد النور (بورتريهات خيري شلبي) – ط/ الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠١١م – مكتبة الأسرة – مهرجان القراءة للجميع.
٢١- الفكاهة في مصر – د. شوقي ضيف – ط/ دار المعارف – الثالثة – سلسلة ثقافية شهرية (٥١١).
٢٢- الفكاهة والضحك رؤية جديدة – د. شاكر عبد الحميد – سلسلة (عالم المعرفة) الكويت – العدد (٢٨٩).
٢٣- فن السخرية في أدب الجاحظ (رسالة دكتوراه) – إعداد/ السيد نشأت محمود العناني – كلية اللغة العربية ج جامعة الأزهر – وقفية الأمين غازي للفكر القرآني ١٩٧٤م.
٢٤- فن الكوميديا – محمد زكريا عناني – الأعمال الفكرية – ط/ الهيئة المصرية العامة للكتاب – مكتبة الأسرة – ١٩٩٨م – مهرجان القراءة للجميع.
٢٥- فن القص بين النظرية والتطبيق – د/ نبيلة إبراهيم – ط/ مكتبة غريب – سلسلة (الدراسات النقدية).

٢٦- قراءة نقدية في نظرية المفارقة – د/ جميل عبد الغني محمد علي – الطبعة الأولى – ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م.
٢٧- قاموس أطلس للنشر – الجيزة – مصر – الثالثة – ٢٠٠٥م.
٢٨- كتبت يومًا (في الأدب والنقد والفكر والفن) – نعمات أحمد فؤاد – ط/ الهيئة المصرية العامة للكتاب – ١٩٨٩م.
٢٩- لسان العرب – ابن منظور – ط/ دار المعارف – القاهرة.
٣٠- المعجم المفصل في الأدب – د/ محمد التونجي – ط/ نشر في دار الكتب العلمية –١٩١٤هـ – ١٩٩٩م.
٣١- مناجيات الكتب والكتاب – محمود تيمور – ط/ دار الجيل – الأولى ١٩٦٢م – نشر/ دار الثقافة.
٣٢- موسوعة الأمثال الشعبية المصرية والتعبيرات السافرة – د. إبراهيم أحمد شعلان – ط/ دار الآفاق العربية – الأولى ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م.
٣٣- نموذج البخيل في الأدب العربي والأدب الفرنسي – محمد الصادق عفيفي – (سلسلة الدراسات الأدبية المقارنة) ط/ دار الفكر – الأولى ١٣٩١م.
٣٤- الهجاء الجاهلي صوره وأساليبه الفنية – عباس بيومي عجلان – ط/ دار المعارف – ١٩٨٢م.
٣٥- يوميات – عباس محمود العقاد – ط/ دار المعارف – الثالثة.

الدوريات:

١- جريدة الأهرام – العدد (٤٨٩٢٧) الجمعة ٥ من ربيع الثاني ١٤٤٢هـ – ٢٠ نوفمبر ٢٠٢٠م – السنة (١٤٥).
٢- مجلة صحيفة العرب – بتاريخ ٢٠١٨/٢/٢٤م.
٣- المجلة العربية – عدد (٥١٣) – يوليو ٢٠١٩م – شوال ١٤٤٠م، وعدد (٥٣٤) مارس ٢٠٢١م – رجب ١٤٤٢هـ.
٤- مجلة كلية اللغة العربية بالمنصورة – عدد (٣٦) ديسمبر ٢٠٢١م.